الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشيخ العربي التبسي _تبسة _
كلية الآداب واللّغات
قسم اللغّة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

دلالة القسم في الخطاب القرآني
نماذج مختارة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتان :
نسيمة حمدي
محبوبة حمايدية

إشراف الدّكتور :
نور الدين العربي بعلوج

أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرّتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
الحاج موساوي	محاضر ب	تبسة	رئيسا
نور الدين بعلوج	مساعد أ	تبسة	مشرفا ومقرّرا
سعاد عطا الله	محاضر ب	تبسة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: ٢٠١٩_٢٠٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ الّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونْ . ﴾.

البقرة :[الآية ١٢١].

شکر و عرفان

شكر وعرفان

يشرفني أن أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لأصحاب الفضل في إتمام هذا العمل وعلى رأسهم الأستاذ "نور الدين العربي بعلوج" الذي أشرف على هذه المذكرة ،الذي أظهر معنا صبرا جميلا ولم يبخل علينا بملاحظاته وتوجيهاته القيمة السديدة .

كما نقدم شكر وعرفان الى جميع أفراد عائلتينا ،فقد كانوا خير سند ولم يتوانوا للحظة عن تقديم العون كل حسب استطاعته .ونخص بالذكر والدينا الحبيبين الى أمي التي صبرت وساندت وتعبت معي في هذا العمل وفي دروب الحياة .

ولا يفوتنا شكر أعضاء المناقشة لقبولهم مناقشة هذا العمل في ظل هذا الوضع ؛ الأستاذ "الحاج موساوي" ،عضوا رئيسا، والأستاذة "سعاد عطا الله" عضوا مناقشا، والأستاذ" نور الدين العربي بعلوج " مُشرفا ومقررا، بتفضلهم بتتبع العمل وتتبع المعايب التي شابته وإثرائه بتوجيهاتهم وملاحظاتهم القيمة .

وأخيرا أشكر كل من كانت له يد العون في هذا العمل من قريب أو بعيد جزى الله أولئك أجمعين خير ما يجزي عباده المؤمنين.

إهداء

أُهدي ثمرة هذا العمل الى أولئكُ :

اللَّذين يبثون في نفسي كل يوم جديد أمل جديداً.

إلى العائلة الكريمة كبيراً وصغير.

إلى الذي يشعل شمعة ويطفئ دمعة

إلى من شهدت غرس هذا العمل الى أمي التي صبرت وساندت وتعبت معي في هذا العمل وفي دروب الحياة .

إلى أخي الذي تحمل الكثير من أجلي من اجل اكمال هذا العمل والوصول الى ما أنا عليه الآن.

نسيمة حمدي

إهداء

نحمد الله تعالى الذي علمنا وأرشد خطانا، و نشكره على ما أنعم علينا ورسمه في اجتهادنا و نصلي ونسلم على خير الخلق أجمعين محمد. عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد تعب و مشقة و ها أنا أختم تخرجي بكل همة و نشاط.

و أقدم ثمرة هذا الجهد إلى صاحب السيرة العطرة و الفكر المستنير، فلقد كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي **(والدي العزيز)** أطال الله في عمره.

إلى قرة عيني وسر نجاحي وبحر الحنان و القلب الكبير و النبض الساكن في عروقي ورمز العطف **(أمي الغالية)** حفظها الله و أطال عمرها.

إلى أخي العزيز وأختاي وفقهم الله في دراستهم وأنار دربهم.

إلى من عملت معي بكد بغية إتمام هذا العمل إلى صديقتي ورفيقة دربي.

إلى كل أفراد العائلة الكريمة **" حمايدية ".**

أعاده الله علينا بالنجاح و اليمن و البركات و سداد الرأي أنه عزيز واسع الخيرات.

محبوبة حمايدية

خطة البحث

خطة البحث

شكر وعرفان

مقدمة

الفصل النظري: أسلوب القسم أركانه ،أنواعه أدواته أغراضه ودواعيه .

المبحث الاول: الأسلوب في الدرس اللساني العربي.

المبحث الثاني :ماهية القسم وأصله الاشتقاقي:

المطلب الأول: القسم في اللغة.

المطلب الثاني: مصطلحات تدل علي القسم .

المطلب الثالث: القسم في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أدوات القسم ،أنواعه وأركانه:

المطلب الأول: حروف القسم وآراء النحاة والعلماء فيها .

المطلب الثاني: أنواع القسم : الظاهر والمضمر.

المطلب الثالث: أركان القسم:

_ المقسم

_ المقسم به

_ أداة القسم

_ المقسم عليه

_ التناسب بين المقسم به والمقسم عليه.

المبحث الثالث: جملة القسم ومواطن الحذف والنفي فيها:

المطلب الأول: جملة القسم بنوعيها الإسمية والفعلية

المطلب الثاني :الحذف في جملة القسم

المطلب الثالث: نفي جملة القسم

الفصل التطبيقي :دراسة إحصائية دلالية لأسلوب القسم في القرآن الكريم

المبحث الأول: لمذا أقسم الله تعالى ؟

المبحث الثاني: أنواع وأنماط القسم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: دراسة الاحصائية للقسم في القرآن الكريم :

المطلب الأول: إحصاء لورود حروف القسم في القرآن الكبير

المطلب الثاني: احصاء لورود القسم الصريح في القرآن الكريم:

المطلب الاول: القسم الصريح المقرون بحرف القسم التاء.

المطلب الثاني: القسم الصريح المقرون باسم الجلالة:

١_القسم باسم الرب.

٢_ القسم باسم الجلالة.

٣_ القسم بعزَّة الله

المبحث الثالث: دراسة دلالية للقسم في القرآن الكريم:

المطلب الاول: القسم بأسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني: القسم بلفظ القرآن الكريم.

المطلب الثالث: القسم بالمخلوقات.

المبحث الرابع: دراسة احصائية لحذف القسم في القرآن الكريم .

المبحث الخامس: دراسة الدلالية لحذف القسم في القرآن الكريم.

المبحث السادس: دراسة احصائية لنفي القسم في القرآن الكريم.

المبحث السابع: دراسة دلالية لنفي القسم في القرآن الكريم

مقدمة

مقدمة:

نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقفوا منه مواقف متباينة ومتخالفة؛ فمنهم مهتد موقن، ومنهم ضال منكر، ومنهم مصدق موافق، ومنهم مكذب مخاصم. وقد استدعت هذه المواقف المتباينة و المتخالفة أن يتوجه القرآن إلى كل منها بما يناسبه من خطاب، وبما يلائمه من أسلوب. وكان من الأساليب التي سلكها القرآن مع الكافرين و الجاحدين أسلوب (القسم)، إقامة للحجة عليهم.

فأقسموا بكل ما هو عظيم ومقدس عندهم كدليل على صدق كلامهم. فأسلوب القسم من الأساليب النحوية التي ذكرت في كتب النحاة قديما و حديثا وأيضا من المؤكدات المشهورة التي تمكّن الشيء في النفس و تقويه، فعُرف و شاع عند العرب و عند غيرهم من الأمم، فاستعملوه كلما كانت تدعوا الحاجة إلى توثيقه و تحقيقه من الأخبار والوعود و العهود والمواثيق وغير ذلك مما يستلزم التوكيد فيما يكون من شؤون الأفراد و الجماعات.

و قد ورد أسلوب القسم كثيرا في القرآن الكريم؛ فكان تارة في فواتح السور القرآنية، وتارة أخرى في ثناياها.

كما هو معلوم أن القرآن نزل بلغة العرب و على أساليب كلامهم و خطاباتهم، حيث جاءت فيه أقسام متنوعة، إثر هذا التنوع في صيغ القسم الواردة فيه لفت انتباه الدارسين إليه، فدفعهم إلى إمعان فكرهم فيه، فأقسم الله ـ عز و جل ـ بأمور عظيمة، كالقسم بنفسه الجليلة وبعمر رسوله الكريم و بالقرآن الحكيم وبالسماء و النجوم و الشمس و القمر... و أمور أخرى على صدق نبوته، و البعث و غيرها من الأمور التي تستدعي التأمل و التفكر.

أما الدافع لاختيار الموضوع هو رجاء الثواب من الله ـ عز و جل ـ و خدمة كتابه الجليل وإفادة المسلمين في مختلف أرجاء المعمورة، و محاولة الإلمام بأسرار أسلوب القسم والوقوف على خصائصه و دلالته في سياقها الكامل، وأيضا الرغبة في فهم النص القرآني و لو بجزء يسير منه.

وكان اختيارنا لأسلوب القسم خاصة لأنه ذو صلة بموضوع أساليب التوكيد في القرآن الكريم، و هذا من خلال اتساعه، و تعدد جهاته، و تداخلها ما جعلنا نوصفه واحدا من هذه الأساليب. و هذا راجع لأسباب أهمها:

١ـ أن هذا الأسلوب لم يتناول في اللغة أو القرآن الكريم من الوجهة البلاغية، وإن كان ثمة دراسات قد تناولته من جوانب أخرى كالنحو و التفسير.

٢ـ أن البلاغيين لم يعنوا بدراسة أسلوب القسم في مباحثهم، فضلا على أنهم صرحوا بخروجه من المباحث المتعلقة بالبيان.

فكان اختيار عنوان البحث ليلائم محتواه كالآتي: " دلالة القسم في الخطاب القرآني" ـ نماذج مختارة ـ .

و هذا البحث هو محاولة للإجابة عن التساؤلات والإشكاليات الآتي ذكرها:

ـ ما القسم وما أنواعه وأركانه وخصائصه ؟!!.

ـ و ما الدلالة التي يوحي لها القسم باختلاف صيغه والسياقات التي يرد فيها ؟.

و قد اتبع البحث في مساره مناهج متعددة، منها : المنهج الإحصائي لإحصاء مواضع القسم في القرآن الكريم و صيغه المختلفة، و اتبع أيضا المنهج التحليلي لتحليل هذه المواضيع المختلفة.

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة و فصلين: نظري و تطبيقي و أخيرا الخاتمة.

أما المقدمة فكانت عرض لطبيعة الموضوع و أهميته و دواعي اختياره و منهجه ثم خطته.

أما **الفصل الأول:** فهو بعنوان : " دراسة نظرية": و يحتوي على ثلاث مباحث:

ـ الأول: موسوم بـ: " ماهية القسم و أصله الاشتقاقي "، تضمن ثلاث مطالب: الأول: القسم في اللغة، و الثاني: أسماء تدل على القسم، أما الثالث: القسم في الاصطلاح.

ـ الثاني: فهو بعنوان: أدوات القسم ، أنواعه و أركانه :(المقسم ـ المقسم به ـ أداة القسم ـ المقسم عليه.)

ـ الثالث: فتضمن جملة القسم و مواطن الحذف و النفي فيها.

أما **الفصل الثاني:** فهو بعنوان : " دراسة تطبيقية " واحتوى ستة مباحث:

ـ الأول: بعنوان: لماذا أقسم الله تعالى؟.

ـ الثاني: أنواع و أنماط القسم في القرآن الكريم.

ـ الثالث: دراسة إحصائية لورود حروف القسم و القسم الصريح في القرآن الكريم.

ـ الرابع: دراسة دلالية للقسم في القرآن الكريم وقد تضمن ثلاثة مطالب هي:

١ـ القسم بأسماء الله و صفاته.

٢ـ القسم بلفظ القرآن الكريم.

٣ـ القسم بالمخلوقات.

ـ الخامس: دراسة إحصائية و دلالية لحذف القسم في القرآن.

ـ السادس: دراسة إحصائية و دلالية لنفي القسم في القرآن الكريم.

أما الخاتمة فقد عرضنا فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث.

و هذا البحث كغيره من البحوث لا يخلو من الصعوبات و العثرات، و مما واجهنا منها انتقاء المراجع الأساسية ، و ملاحقة المصادر الضرورية للاعتماد عليها في هذا البحث،

ولم نعتمد على صنف واحد من الكتب وهذا راجع لتنوع الدراسة التي قمنا بها في هذا البحث؛ بل تنوعت بين المعجمات و كتب اللغة وكتب النحو و التفسير و علوم القرآن ومعانيه و غيرها.

و ختاما نقول:

هذا ما منّ الله به علينا في إنجاز هذا البحث و إتمامه، ما كان ليتم إلا بفضل من الله وتوفيقه و اشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد، وأسأل الله التوفيق و السداد.

الفصل النظري

1_الأساليب في الدرس اللساني العربي:

1_1 الأسلوب في الدرس العربي القديم:

احتفى الدرس العربي منذ القرن الثاني للهجري بدراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني التي استدعت من تعرضوا للتفسير أن يفهموا مدلول لفظ(أُسلوب) عند البحث اللغوي الموازن بين أُسلوب القرآن الكريم وغيره من أساليب الكلام العربي .

نجد كلمة أُسلوب عند "ابن منظور" في لسان العرب :"ويقال لسطر من النخيل أسلوب ،وكل الطريق الممتد فهو أسلوب ،قال:" الأسلوب الطريق يؤخذ فيه ،والأسلوب بالضم :الفن ،أخذ في أساليب من القول أي أفانين منه ".(1)

وهو عند 'الزمخشري' يحمل عدة مفاهيم لغوية ، فيذكر في مادة (سلب) :"سلبه ثوبه وهو سليب وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السلاب ،أي الحداد ،...وسلكت أُسلوب فلان :أي طريقته وكلامه على أساليب حسنة ...،وشجرة سليب أُخذ ورقها وثمرها ،وشجر سلب وناقة سلوب :أخذ ولدها...".(2)

ونستخلص من هذين التعريفين أن مدلول كلمة أسلوب بمعنى الطريق الممتد وبمعنى الأخذ .

كما أن هذين التعريفين لمدلول (أُسلوب) يُحيلاننا إلى بعد مادي نلمسه في تحديد مفهوم الكلمة من حيث ارتباطها في الشكلية أي أن لا يلتف الانسان يمينه ويساره خلال سلكه الطريق

وُبعد آخر، بعد فني يتجلى من خلال ربطها بأساليب القول اذ يقال :"سلكت أسلوب فلان طريقته وكلامه على أساليب حسنة".(3)

١:ابن منظور(جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب ، مادة (سلب) ، دار صادر ، بيروت ، مج ١، ط١،١٩٥٥ ،ص٤٧٣ .

٢:الزمخشري(جار الله أبي القاسم محمود بن عمر)،أساس البلاغة ،مادة (سلب)، القاهرة ،1960،ص452.

٣:محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لبنان ، ط1، 1994،ص10.

ونجد في هذا السياق حديث' ابن قتيبة ' :"إنما يُعرف فضل القرآن من كثُر نظرُه واتّسع علمُه وفَهْم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب وما يخُص الله به لُغتها دون جميع اللغات فإنّه ليس في جميع الأُمم أُمة أُوتيه العرب خصيصاً من الله ...،فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكاح أو حمالة أو تحضيض أو صلح أو ما أشبه ذلك ، لم يأت به من وادٍ واحد ، يُفنن فيختصر تارة إرادة التخفيف ، أو يُطيل تارة إرادة الإفهام ، ويُكرر تارة إرادة التوكيد ...".(١)

فالأُسلوب بالنسبة إليه فن القول ومعرفة دواعيه ، فقد ربط(الأُسلوب) بطرُق الأداة ، التي يشكل بها المُتكلم كلامه ، كما أنّه ربط الأُسلوب أيضا ليمتد فيشْتمل على النص الأدبـــــــــي كاملاً ، ولم يقْصُر كلامه على الجُملة الواحدة .

أما 'عبد القاهر الجُرجاني '(ت ٤٧١ ه) فالأُسلوب يتجلى في نظريته المعروفة في البلاغة والنقد واللغة ، بنظرية النظم التي اسْتطاع أن يُفسرها في الدلائل تفسيراً ردها فيه الى المعاني الثانية أو الإضافية التي تلتمس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس وهي معاني ترجع الى الإسناد وخصائص مختلفة في المُسند إليه و المُسند وفي أضرب الخبر وفي مُتعلقات الفعل من مفعولات وأحوال وفي الفصل بين الجمل وفي الوصل وفي القصر وفي الإيجاز والإطناب .(٢)

ومن هنا فإن كلمة (أُسلوب) ليست فقيرة في دلالتها العادية ، ولا ضعيفة الصلة في أصل مادتها (س، ل، ب) ، فليس من الصعب على النقاد استعمال هذه اللفظة وشخصها بالمفهوم الاصطلاحي ، ولكنهم شغلوا عن تقنين الأساليب بل عن دراسة اللغة الفنية عُموما بطرائق النظم والدرس البلاغي ، الذي سد الطريق على كل تطور محتمل للدراسة .

وبقيت ومضات تضيء جانبي الطريق نجدها عند 'ابن قتيبة' في تأويل مشكل القرآن ، أو 'الخطابي' في بيان إعجاز القرآن ، ومن قبلهما برق 'الجاحظ' في البيان والتبيين ، فلم تظهر الرؤية واضحة عندهم ، ولم يظهر منها إلا إشارات عند 'عبد القاهر الجرجاني ' و أفلح 'حازم القرطجني' و'ابن خلدون' وغيرهما . (١)

١:ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ،دار التراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٣ ، ص١٢ .
٢:شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ص١٨٩ .

وفي موضع آخر يُؤكد 'الجرجاني' فكرة ترتيب المعاني في النفس عنده عندما يُدلل على أن المزية في النظم إنما ترجع الى ترتيب المعاني في النفس لا الى الألفاظ بأعينها .

فيقول :"لو كان القصد بالنظم الى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثُم النطق بالألفاظ على حذوها ، ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم ، أو غير الحسن فيه لأنهما يحُسان بتوالي الألفاظ في النُطق احساساً واحداً ، ولا يعرف أحدُهما في ذلك شيئاً يجهله الآخر.(٢)

نستخلص من ذلك أن 'للجرجاني' ، تداخلات مُهمة وخُطوات أولى لعلم الأُسلوب فحتى من جاء بعده لم يتجاوزوا ما وصل إليه 'عبد القاهر الجرجاني' بكثير .

أما عند 'ابن خلدون' فقد تبلور الفكر النّظري الأُسلوبي في مقدمته تبلوراً واضحاً حيث حدد المعنى الاصطلاحي له ، وبحث في معناه عند أهل الصناعة قائلا :"ولنذكر هنا مدلول لفظة أسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم أنّها عبارة عندهم عن المنوال الذي تُنْسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه ، ولا يرجع الى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان .ولا باعتبار الاوزان كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض ، فهذه العلوم الثلاث خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ، وإنما ترجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص ، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها و يُصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيرُصُّها فيه رصاً ، كما يفعله البناء في القالب ، أو النّساج في المنوال ، حتى يتّسع القالب بحُصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللّسان العربي فيه ، فكان لكل فن من الكلام أساليب تُختص به ، وتوجد فيه ، على أنحاء مُختلفة .(١)

١:شكري عياد ، اللغة والإبداع ،مبادئ علم الأُسلوب العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٦ .

٢:عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح : محمد عبده والشنقيطي ، مطبعة محمد علي صبيح ، ط٦ ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣٤.

.

فمن خلال هذا النص لا نجد خلافاً كبيرا مع المفاهيم السابقة (فالأُسلوب) هو سلوك لأهل صناعة الشعر ، بمعنى المنوال والقالب ، فهو بعيد عن معاني النحويين والبلاغيين إذ يعُدّها خارجة عن الصناعة الشعرية ، ويُرجعه الى صورة ذهنية ، الى التراكيب المنتظمة كلياً ، والتي تنطبق على تركيب خاص في الذهن .

فيكون الأُسلوب مُكتسبا من الملكة اللغوية التي يمتلكُها الأديب ، فهو بالتالي يجمع بين الأُسلوب واللغة والكفاءة اللغوية _كما يُسميها تشو مسكي _

وبذلك نُدرك أن 'ابن خلدون' يذهب الى أن وظيفة الأساليب الشعرية هي استيعاب العلوم وإدراكها ثم ينتقي منها ما يُناسب التركيب الخاص به .(٢)

نخلص في الأخير أن الأُسلوب حسب تصور 'ابن خلدون' هو صورة ذهنية تغمر النفس وتطبع الذوق ، والأساس فيها الدراية النابعة من الاطلاع وقراءة النصوص الإبداعية المتفردة ذات بُعد جمالي ،وبِمثل ذلك تتكون التراكيب التي تعودنا على تسميتها بالأُسلوب .

فكانت هذه بعض ارهاصات أو خطوات أولى نحو علم الأُسلوب ، توارت في غياهب فكرة النظم عند 'عبد القاهر الجرجاني' كما نُلاحظ قرب مذهب 'ابن خلدون 'في مُناقشة مسألة الأُسلوب من الأسلوبيين المُعاصرين .

١:ابن خلدون ، (عبد الرحمان بن محمد)، المقدمة ، دار ابن الجوزي ، مصر ، ٢٠١٠ ، ص ٥١٩ .

٢:شكري عياد ، اللغة والإبداع ، مبادئ علم الأُسلوب العربي ، مرجع سابق ، ص٢٠ .

1_2 الأُسلوب في الدرس العربي الحديث :

اعترت الأساليب هزة قفزت بها خُطوات زائدة في المجال العملي ، خففت أعباء الصنعة _في عصرنا الحديث _ ، واستبدلوها بأُسلوب الترسل السلس الذي راقهم .

امْتزجت هاته المؤثرات مع تأثير التيارات الغربية الوافدة إلينا حديثاً لا، فهبّ الباحثون يُراجعون الأساليب ويُعيدون النظر في علم البلاغة ،

يُمثل كل من 'امين الخولي' و'أحمد الشايب' في كتابيهما 'فن القول' و 'الأُسلوب' طليعة الثورة على نمط دراسة علم البلاغة في القديم ، والخروج به من الدراسة الفنية ينتظمها مع غيرها من العناصر الفنية الأُخرى علم الأُسلوب الحديث .(١)

ثم توالت الدراسات اللسانية التي انبثقت من تيارات النظرية الغربية ، تضيف الى بناء علم الأُسلوب في العربية ، أمثال 'فردينا ند دي سو سير' و 'تشو مسكي' لكنها إضافات نقل لا إضافات إبداع ، تُكبلها قيود الترجمة وغياب المصطلح المقابل وبعض الترجمات تأتي مشوشة فتزيد الطين بلّة ، أو تكون حِكراً على الأكاديميين وعليّة المثقفين ، مما جعل أثرها في أواسط الثقافة والأدب محدوداً، فتعددت تعريفات الأُسلوب تبعاً لمناهج البحث ...(٢).

نستنتج أن من جاء بعد ابن خلدون ، الشايب ، المرصفي وغيرهم ، أحسنوا الاستفادة في هذا الميدان من معطيات الأسلوبية الحديثة محاولين لتأصيلها في التراث العربي .

وفي العربية مُجملا يُستخدم أسلوبان أساسيان من أساليب علم البلاغة العربية للتعبير وإيصال الفكرة والمغزى من الكلام ، وهذان الأُسلوبان هما أسلوب خبري وأسلوب إنشائي ،ووجه الحصر في ذلك أن الكلام إذا احتمل الصدق والكذب لذاته يصح لأن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب ، سُمي كلاماً خبرياً وإن لم يحتمل ذلك سُمي إنشائياً .(٣)

١:أحمد الشايب ، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مرجع سابق ، ص٤٠٠ .

٢:حسين المرصفي ، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ، مطبعة المدارس الملكية ، القاهرة ، ١٢٩٢ ه ،ج٢ ، ص٤٦٥ .

٣: :عبد السلام محمد هارون ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ،٢٠٠١ ،ص١٤ ،

الأُسلوب الإنشائي بدوره يُقسمه البلاغيون الى طلبي وغير طلبي ، ويُعنى البلاغيون بالإنشاء الطلبي ، أما النحويون فيُوجهون عناية خاصة الى مُعظم أنواع الِقسم الثاني في مُختلف أنواع و أبواب النحو وقسموه الى ثمانية أقسام منها **القسم** .

إذ يُعد **القسم** واحد من أساليب التوكيد المعروفة ، فقد عُرف وشاع عند العرب فاستعملوه في كل ما يستلزم توكيد الأمر، وهذا الأُسلوب هو ما سنُقصر كلامنا عليه في هذا البحث.

2/ ماهية القسم :

عرف مصطلح القسم عند العرب و عند غيرهم من الأمم فكانوا يستعملونه كلما تدعو الحاجة الى تحقيقه من الأخبار والعهود وذلك في توكيد الأمور.

ولأسلوب القسم العديد من المصطلحات الشائعة فقد أطلق عليه مثلا: القسم، الحلف، اليمين، الآلية، العقد، الشهادة... ، فجاء اختلاف هذه المصطلحات تبعا لاختلاف الاغراض المقصودة منه.

لغة : سمَّاه الفقهاء الحلف واليمين ، وأكثر ذلك عندهم اليمين، لأنّه لفظ يدل على ما تكون فيه المؤاخذة وتجب به الكفارة، ويُعينهم في بيان الأحكام المتعلقة باليمين. وقد يُسمي الفقهاء هذا النوع من التوكيد الشهادة أو النذر.

أمَّا النحاة فقد خصوا هذا التوكيد في تسمية الأبواب النحوية بمصطلح القسم، وان كان يشيع عندهم أيضا تسميته بالحلف و اليمين وترد في مباحثهم بعض الألفاظ التي تشعر بقوة الكلام، كشهد و علم و عهدّ، وهي عندهم ألفاظ فيها معنى القسم.

وشاع ورود مصطلح القسم عند البلاغيين في مواضع عدّة، فقد ذكروه في باب الخبر بوصفه أحد الأساليب المؤكدة له. وذكروه كذلك في باب الإنشاء باعتباره أحد أنواع الانشاء غير الطلبي، وقد نظروا إليه هنا من جهة ارتباطه بمعنى الإنشاء والطلب.

أما المفسرون فقد استخدموا من المصطلحات المتقدمة ما يناسب الغرض الذي يوجهون اليه عنايتهم في تفسير ما يعرض لهم من آيات القسم في القران، فاذا عنوا في تفسيرها بما يتعلق بالأحكام الشرعية استخدموا المصطلحات التي سبقت الإشارة إليها عند الفقهاء، واذا اتجه غرضهم الى بحث المسائل النحوية أو البلاغية شاع عندهم منها ما شاع عند النحاة البلاغيين(١).

ومِمَّا سبق تبين أن تناوُل العلماء لهذا الأسلوب على تعدد المصطلحات التي دل بها عليه. وهذا يدعوا الى ضرورة البحث في الأصول اللغوية لتلك المصطلحات ووجه ارتباطها بما دلت عليه في اصطلاح كل علم.

١: ابن فارس، مقاييس اللغة،ج٥،ص٨٦(مادة قسم).

٢_١ مادة(ق. س. م):

(أ):القسم بسكون السين هو التجزئة والتفريق وجمعه أقسام، ويكون أيضا بمعنى قدر ونظر، كقولك: هو يقسم أمره قسما أي يقدره ويدبره ينظر كيف يعمل فيه.

وقسمه بالتضعيف للتكثير، أي جزأه، ومنه قوله تعالى[فالمقسمات أمرا] وقاسم فلان فلانا أي أخذ كل منهما نصيبه.

(ب): القسم بالتحريك: اليمين بالله، والجمع أقسام، وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه: حلف له. وتقاسم القوم: تحالفوا كم في قوله تعالى[قالوا تقاسموا بالله] أي طلب بعضهم القسم من البعض. واقتسم: يقال اقتسموا أي تحالفوا كما في قوله تعالى:[كما أنزلنا على **اللمقتسمين]** وأقسمت حلفت.(١) وأصله من القسامة والقسامة هي:" أيمانٍ يقسم على المتهمين في الدم".(٢)

القسم من الفعل قَسَمَ وقيل: اقتسم اقتساما وقاسم مقاسمة: إذا حلف.(٣)

٢_٢ مادة (ح. ل. ف) :

ورد في معجم لسان العرب لابن منظور مادة (ح. ل. ف):" حلف: الحِلْفُ والحَلِفُ: القَسَمْ لغتان، حَلَفَ أي أقسم يَحْلِفُ وحِلْفًا و حَلِفاً و مَحْلُوفاً، وهو أحد ما جاء من المصادر على مُفْعُولٍ مثل المَجْلُودِ والمَعْقُولِ والمَعْسُورِ و الميسور الواحدة حَلْفَةٌ، ويقولون: محلوفة بالله ما قال ذلك، ينصبون على إضمار يحلف بالله محلوفة أي قسما، والمحلوفة هو القسم.

الحَلِفُ: اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية فخالف بين اللفظين تأكيدا لعقده وإعلاما أن لغو اليمين لا ينعقد تحته. والحِلْفُ: بالكسر، العهد يكون بين القوم. وقد حالفه أي عاهده وتحالفوا أي تعاهدوا. (٤)

١:ابن منظور لسان العرب، ط١، دار صبح ايدي سوفت، ٢٠٠٦، ج١١، ص١٤٧

٢:الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد)، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٥م ، ص١٨٣.

٣:أنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٩٦م،ص٦٢٠.

٤:ابن المنظور لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، مج:٤، ٢٠٠٤م، ص١٩٦

وحَلَفَهُ: طلب منه أن يَحْلِفَ، استحلفَهُ: أي حلفهُ. (الحِلفُ): المعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق والجمع أَحْلَافٌ. والحَلّاف كثر الحَلِف.(١)

٢_٣ مادة (ي. م. ن)

بزيادة ياء قبل الحرف الأخير: يمين و يوزن على فعيل، لها عدة معانٍ منها: ضد اليسار، البركة، القوة، القدرة ،المنزلة الجليلة، والدين ، من معانيها: الحلف والقسم جمعها: أَيْمُنٌ و أَيْمَانٌ، قيل: إنما سميت بذلك، لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه.(٢)، واليمين: القسم، مؤنث لأنهم كانوا يتسامحون بأيمانهم.(٣)

و(أيمنُ) الله اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وهو جمع يمين وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين ولم يجئ في الأسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها و ربما حذفوا منه النون فقالوا (أيمُ) الله بفتح الهمزة وكسرها.(٤)

٣ التفرقة بين الصيغ : لما كانت صيغ القسم متعددة، فقد حاول بعض العلماء التمييز بينها. فقال 'أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري': القسم أبلغ من الحلف، لأن معنى قولنا: أقسم بالله، أنه صار ذا قسم بالله. و القسم: النصيب.

والحلف من قولك سيف حليف، أي قاطع ماضٍ. فإذا قلت: حلف بالله، فكأنك قلت: قطع المخاصمة بالله.

فلأول أبلغ كأنه يتضمن معنى الآخر، مع دفع الخصم، ففيه معنيان. وقولنا: حلف يفيد معنى واحدًا. وهو قطع مخاصمة فقط أو يمين، اسم للقسم المستعار. وذلك أنهم - إذا تقاسموا على شيء – تصافقوا بأيمانهم، ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يمينا.(٥).

١: ابراهيم مصطفى وأخرون، ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ، ط٢، مكتبة اسلامية ، ج١، ص١٩٢ .

٢:الامام الرازي ، الصحاح، ط٢، دار حداثة، ١٩٨٣م، مادة (ي .م. ن)،ص ٣١٠.

٣:الفيروز أبادي(محمد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: محمد الشامي، دار الحديث ، القاهرة، ٢٠٠٨م،ص١٧٩٦.

٤:المرجع السابق، ص٣١١.

٥: حسين نصار، القسم في القران الكريم، ط١ مكتبة الثقافة الدينية، جامعة القاهرة،٢٠٠١م ص٨٥

اصطلاحا:

القسم في الاصطلاح هو ربط النفس بالامتناع عن الشيء أو الاقدام عليه بمعنى مُعظَّم عند الحالف حقيقة أو اعتقاد (١).

كما ورد أيضا في كتاب "اللمع في العربية" لابن جني أن القسم ضرب من الخبر يذكر ليؤكد به خبرا آخرا.(٢)

يقول القرطبي :"اعْلَم أَن القَسَم هُوَ يَمِين يُقسِم بهَا الْحَالِف ليؤكد بهَا شَيْئا يُخبر عَنهُ من إِيجَاب أَو جحد وَهُوَ جملَة يُؤَكد بهَا جملَة أُخْرَى فالجملة المؤكَّدة هِيَ المُقْسَم عَلَيْهِ وَالْجُمْلَة المؤكِّدة هِيَ القسَم وَالِاسْم الَّذِي يدْخل عَلَيْهِ حرف القسَم هُوَ المُقْسَم بِهِ، مِثَال ذَلِك: أحلِف بِاللَّه أَن زيدا قَائِم. فقولك إِن زيدا قَائِم هِيَ الْجُمْلَة المُقسم عَلَيْهَا، وقولك أحلِف بِاللَّه هُوَ القسَم الَّذِي وكَّدت بِهِ أَن زيدا قَائِم، والمُقسَم بِهِ اسْم الله عز وَجل، وَكَذَلِكَ كل اسْم ذكر فِي قسَم لتعظيم المُقسَم بِهِ فَهُوَ المُقسَم بِهِ.(٣)

ومنه فالقسم هو توكيد أمر المحلوف عليه ، بذكر اسم الله أو صفة من صفاته ،ولا يكون القسم قسمًا إذا انفرد ، بل يُحَقِّقُ القسم الإفادة إلا إذا انظم الى أركانه من مُقسم ومقسم عليه، حرف الـ قسم ومقسم به.

والقسم في تعريف آخر :"هو جملة يؤكد بها جملة أخرى كلتاهما خبرية".(٤) ،

١:موسى ابراهيم الابراهيمي ،تأملات قرآنية _بحث منهجي في علوم القرآن_ دار الشهاب ،ص١٦٩.

٢:ابن جني(أبو الفتح عثمان)، اللمع في العربية، تح: سليم أبو مغلي، دار مجد لاوي ، عمان، ١٩٨٨م، ص١٢١

٣:القرطبي(ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي)،الكافي في فقه اللغة ،تح: محمد محمد أحيد ،مكتبة الرياض،ط٢،المملكة السعودية،١٩٨٠م،ص٥٨٩ .

٤:ابن عُصفور ،شرح جُمل الزجاج، دار الكتب العلمية ، ط١ ،،بيروت ،١٩٩٨م ،ج١،ص٥٤٤.

2_4/أسماء تدل على القسم:

يُؤَدى القسم في العربية بأفعال مثل (أُقسم) و (أحلف) ونحوهما ، وبأحرف تُسمى أحرف القسم التي سبق ذكرها ، وبأسماء نحو (لعمرك ، وأيمن الله ، يمين ...) ، وهذا ما سنوجز الكلام عنها:

١ العمر: ومعنى العمر بالفتح والضم: الحياة، وقول القائل:" لعمر الله أي وبقاء الله ".كقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.(١)

٢ أيمُن الله: وهو اسم لا حرف ولا جمع يمين، خلافا للكوفيين، وقد تصرفوا فيها فحذفوا منها النون فقالوا:" أيم الله، مُ الله، و من ربي "، لكثرة جريانها على ألسنتهم.(٢)

قال 'ابن يعيش': "اِعلم أن اللفظ إذا كثُر في ألسنتهم واستعمالهم آثروا تخفيفه ، وعلى حسب تفاوت الكثرة يتفاوت التخفيف ، ولمَّا كان القسم مما يكثر اِسْتعماله ، ويتكرر دوره ، بالغوا في تخفيفه ".(٣)

٣ عمرك الله \ قعدك الله: ويُستعملان في القسم، كقولنا: عمرك الله لا تذهب، فيكون معناها أسْأَلك بتعميرك الله أي: بإقرارك له بالبقاء، وقد يأتي لغير القسم ، مثل :عمرُك الله ما فعل زيد؟ ، فيكون المعنى ، أسأل الله أن يعمرك ..

وقال الرضي :"وعلى تأويلهما ، ويعني عمرك الله وقعيدك الله ، ليس معنى القسم ظاهر فيهما مع أنّهما لا يستعملان إلاّ في القسم كما ذكرنا ، إلاَّ أن يُقال : لمّا كانا للدُعاء للمخاطب جريا مجرى قسم السؤال؛ لأنّه قد يبتدأ السؤال بالدُعاء للمسؤول ، كما أنّه قيل : طوّل الله عمرك اِفْعل لي كذا وكذا ". (٤)

نستنتج أنّه ليس شرط أن يتوفر أحرف القسم والمقسم به ليُسمى قسماً بل قد يُستغنى عنها وينوبها أسماء أو أفعال أو غيرها من الصيغ

١:سورة الحجر، آية ٧٢.

٢: ابن يعيش(موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش) ، شرح المفصل ، ادارة الطباعة المنيرية ، دمشق ، ج٩ ، ص٩٤.

٣: مرجع نفسه، ص٩٢ .

٤: السيوطي(عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي) ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تح: عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢م، بيروت ، ج٢ ، ص ٤٨١ .

3/أدواته و حروفه :

تحتاج أفعال **القسم** الى ما يوصلها الى المقسم به ، ولهذا جيء بحروف القسم الجارة للمقسم به ، قال 'الخليل بن أحمد الفراهيدي' :"إنّما تجيء بهذه الحروف لأنك تُضيف حلفك الى المحلوف به ... ومعنى هذا كما شرحه سيبويه أنّك ، إذا قلت : بالله وتالله ، فإنما أضَفت الحلف الى الله سُبحانه ، فهذه الحروف تُضيف معنى القسم الى المُقسم به ...؛لأن فعل القسم لا يصل بنفسه الى المُقسم ".(١)

ومن حروف **القسم** نجد [الباء ، والتاء ، الواو، اللام ،من ، ...]، ولكن الحروف الثلاثة الأُولى هي أكثر حروف **القسم** وروداً في كلام العرب ولم يرد غيرها في القرآن الكريم ، وسنأتي الآن على ذكرها بالتفصيل:

يقول الزجاجي :"واعلم أن الواو والباء تدخلان على كل محلوف به ، ولا تدخل التاء إلا على الله عزّ وجل وحده ولا تدخل اللّام إلا في التعجب ".

وقال المرادي :"فأمّا واو القسم فحرف يجر الظاهر دون المضمر ، وهو فرع الباء لأنّها تُشابهُهُ مخرجًا ومعنى ، لأنهما من الشفتين ".

ويكاد يتفق عُلماء اللغة العربية قديماً وحديثاً في أن الباء هي أصل حروف القسم لأنّها تصُح بدل الحرفين الآخرين ، ولأنّها حرف الجر الذي يُعدى به الحلف

فأما اللام فتدخل على الأسماء و الأفعال، فإذا دخلت على الأسماء فما بعدها مبتدأ وخبر كقولك "والله لزيد أفضل من عمرو...". (٢)

أولاً: الباء

فهي أصل حُروف القسم ، لأنّها حرف إضافة ، ومعناها الالصاق ، فأضافت معنى القسم الى المقسم به ، وألصقته به ، نحو قولك أحلف بالله ، كما تُصل الباء المرور الى الممرور به في قولك' مررت بزيد '، فالباء من حروف الجر بمنزلة (من) و (في) فلذلك قلنا : إنّها أصل

١:سيبويه(أبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر)،الكتاب ،تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،ط٣ ،١٩٨٨م ، ج٣ ، ص٤٩٧ .

٢:الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ،تح: فخر الدين قباوة _محمد نظم فاضل ،دار الكتب العلمية ،ط١،١٩٩٢م ، ص١٥٤ .

حروف القسم ، وغيرها إنّما هي محمول عليها فالواو بدل من الباء لأنّهم أرادو التوسع لِكثرة الأيمان ، وكانت الواو أقرب الى الباء لأمرين : أحدهما أنّها من مخرجها ؛ لأن الواو والباء جميعا من الشفتين ، والثاني أن الواو للجمع ، والباء للإلصاق ، فهما مُتقاربان ؛ لأن الشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه، فلما وافقتها في المعنى والمخرج ، حُملت عليها وأُنيبت عنها

وكثر استعمالها حتى غلبتها ، ولذلك قدّمها سيبويه في الذكر ، فالواو في القسم بدلٌ من الباء ، وعاملة عملها، وليست كسائر حروف العطف ؛ لأن واو العطف غير عاملة بنفسها ، وإنّما

هي دالة على العامل المحذوف ، ولذلك يجوز أن تقول في "قام زيد وعمرو":" قام زيد وقام عمرو" فتجامع ولكن ولو كان العامل لم يجتمع مع عامل آخر ، وليست كذلك واو القسم ؛ لأنّها لا تجمع الباء ، فإذا قلت : وبزيد كانت هذه الواو غير واو القسم (١)

حرف الواو والتاء حرفان أصليان ومعناهما القسم ، ولا يصح أن يذكر معهما جملة القسم وهما لا يجران إلاّ الاسم الظاهر والتاء مع القسم تفيد التعجب ، ولا يجر من الأسماء الظاهرة إلاّ ثلاثة (الله ، رب ، الرحمان) ومن الشُذوذ أن يجر غير هذه الثلاث. (٢)

ثانياً : التاء

هي ثاني حروف القسم وتختص بالله نحو قوله تعالى:{ تَاللَّـهِ تَفْتَأُ } (٣) ، يُحكى عن الأخفش دخولها على (الرّب) نحو تّربي ، وقيده بعضه بإضافته الى الكعبة نحو: ترّب الكعبة ... على أن دخولها على غير لفظ الجلالة كقولهم : ترّبي وتالرّحمان وتحياتك غير جائز عند كثير من النحاة وقد وصفه بعضُهم بالشُذوذ . (٤)

١:الّزمخشري (موفق الدين أبي البقاء ويعيش بن علي بن يعيش الموصلي)، شرح المفصل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ م ،ص٢٥٤ .

٢:ابن هشام الأنصاري ،.مغني البيب عن كتب الأعاريب ،تح: عبد اللطيف محمد الخطيب ،الكويت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١،ص٣٢٨.

٣:سورة يوسف، آية ٨٥ .

٤: : ابن هشام ، مرجع نفسه ، ص٣٢٩

ثالثاً: الواو

أكثر حروف القسم استعمالاً ، قال سيبويه : "وللقسم والمُقسم به أدوات في حُروف الجر وأكثرُها الواو ... "،(١)وعلل ابن سيده ذلك بكون الباء :"تدخل في صلة الأفعال في القسم وفي غيرها فاختاروا الواو في الاستعمال لانفرادها بالقسم".(٢)وهي تدخل على كل مقسم به ظاهر نحو قوله تعالى :﴿وَاللَّـهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ (٣) وقوله أيضاً: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ . (٤) ... كما أن فعل القسم يُحذف مع الواو فلا يجوز : أُقسم والله لأفعلن والواو لا تُستعمل فيما سُميّ عند بعض النُحاة بالقسم (الاستعطافي) نحو: والله أخبرني كما يُقال بالله أخبرني .

رابعاً : اللّام

من معانيها الدلالة على القسم والتعجب معاً ، بشرط أن تكون جملة القسم محذوفة ، وأن يكون المقسم به هو لفظ الجلالة كقولهم : لله لا ينجو من الزمان حذرٍ..." .

خامساً : مِن

مكسورة الميم وقد تُضم وهي مختصة بلفظ ربي ، لا يُقسم بها مع غيره ، وذهب الكوفيين الى أن(من) المضمومة مقصورة من (أيمُن الله) والمكسورة من مقصورة من (يمين الله).(٥)

أي أنّ أداة القسم 'من' ليست كما يظن البعض بأنّها حرف من حروف الجر وإنّما هي مأخوذة من أيمُن الله _بضم الميم_ ويمين الله _بكسرها_

١: سيبويه ،الكتاب، ج ،٣ص٤٩٦.

٢:ابن سيده(أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي)،المخصص ، تح : خليل ابراهيم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١ ،١٩٩٦ م ، ج ٢ ،ص١١٠ .

٣: سورة الأنعام ، آية ٢٣

٤:سورة التين ، آية ٠١ .:

٥:عبد السلام محمد هارون ،الأساليب الإنشائية في النحو العربي ،مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠١م ،ص١٦٤ .

نخلص بذلك أن هناك ثلاث حروف ورد بها القسم كثيراً ، فالباء أصل هته الحروف في القسم إلا أن التاء تختص إلا بلفظ الله عز وجل وهي فرع من الباء لتشابُههما في المخرج _الشفتين_

والمعنى، ولا ننسى أيضاً أن اللام تدل على القسم والتعجب معاً ، كما تدخل على الأسماء والأفعال ،وهذه الحُروف الثلاث (الباء ، التاء ،و الواو) هي أكثر حروف القسم وروداً في كلام العرب ، ولم يستعمل في القرآن غيرها .

1_3 آراء النحاة و العلماء في حروف القسم :

ذهب الرّازي الى أنّه ليس للقسم _في الأصل حرف ___لكن الباء والواو استُعملتا فيه لمعنى عارض ، وذلك لأن الباء التي في أصل القسم هي الباء التي للإلصاق والاستعانة ، فكما يقول القائل : استعنت بالله ، وكتبت بالقلم ، يقول أيضاً : أقسمت بالله . وَلمَّا كثُر القسم في الكلام، استغنيّ عن ذكره، على حين لم يَكثر غيره من الاستعمالات فلم يُستغن عنه ،ثم خشى المتكلم أن يقع التباس ، فأبدل الباء تاء ، وبقيت خِشُية المُتكلم أن تلتبس تاء القسم هذه بتاء الخطاب والتأنيث ، فأبدلها واوا (١).

علل أبو حيان عدّ الزّمخشري الباء أصل حروف القسم بأنّها أوسع هذه الحروف ، إذُ تدخل على الظاهر والمُضمر ، ويُصرح بفعل القسم معها وعلَّق على قوله إنّ بعض هذه الحروف مبدل من بعض بأن هذا الشيء قاله كثير من النحاة ، ولا يقوم عليه دليل وقدّره 'عبد الرحمان عبد الله السُهيلي هذا القول والذي يقتضيه النظر أنّه ليس شيء منها أصلاً للآخر .

وعلى زيادة التعجب في التاء، فقال : نصوص النحاة أن التاء يجوز أن يكون معها تعجب ويجوز ألاّ يكون ، واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم .(٢)

وقد رأيُنا آنفاً نص سيبويه لا يتفق كل الاتفاق مع ما قاله أبو حيان عن التاء ، وإنّما يتفق معه في اللاّم ، فقد قال سيبويه :"ولا تجيء اللام ، إلّا أن يكون فيها معنى التعجب "(٣). وأجمل ابن

١:ابن هشام ، شرح المفصل ، ادارة الطباعة المنيرية ، دمشق ، ج١ ، ص١١٢ .

٢:السيوطي ،همع الهوامع ،ج٤،ص٢٣٧ .

٣:سيبويه،الكتاب،ج ٣،ص٤٩٩.

ابن القيم الآراء فقال :"فلما كان القسم يكْثُر في الكلام اختصر ، فصار فعل القسم يُحذف ، ويكتفي بالباء ، ثم عوض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة ، والتاء في اسم الله ، وقد نُقل : ترّب الكعبة .(١)

ومنه فإن للنحاة والعلماء آراء مُتباينة حول وجوب وجود حروف القسم ، ففريق يرى أنّه لا أصل لهذه الحروف في القسم من الأساس ،وفريق أن لها وجود ، ولكن يرى أن هته الحروف ماهي إلّا مبدل من بعض ، وهذا ما اتفق عليه أغلب النحاة .

4/أنواع القسم:

القسم يكون إما ظاهراً صريحاً أو مضمراً:

٤_١القسم الظاهر:

وهو ما كان فيه القسم ظاهراً صريحاً؛ أو ظاهرًا ويُستدل عليه بحرف القسم نحو قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ (٢)، أو يُستدل عليه بفعل القسم نحو : أُقسم لا أنْسى المعروف .

أو يُستدل عليه بالحرف والفعل معاً كقوله تعالى : (أَقْسَمُوا بِاللَّـهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ ﴾ (٣).

والقسم الصريح بدوره نوعان:

الأول : اسُتعطافي : وهو ما كان جواب القسم فيه جملة إنُشائية ، وتختص لها الباء من بين حروف القسم كما ذكرنا سابقاً ، وهو القليل الشائع في أساليب القسم .

الثاني : غير اسُتعطافي : (خبري) وهوما كان جواب القسم فيه جملة خبرية ، وهو الكثير

١: :الفاكهي (عبد الله بن أحمد)، شرح كتاب الحدود في النحو ، تح: المتولي رمضان أحمد دميري ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،ط٢ ، ١٩٩٣ ، ص٢٩٨ .

٢:سورة الذاريات ، آية ٧_٨ .

٣:سورة الأنعام، ١٠٨.

الشائع في العربية ، نحو :والله لأنصرن المظلوم .(١)

4_٢:القَسَم المُضمر أو غير الصريح:

هو ما دخلها معنى القسم لمعانٍ تشمل عليها ، كما أنّك تقول : عَلِم الله لا فعلن ، وعلم فعل ماضي والله عزّوجل فاعله ، فإعرابه كإعراب رزق الله الاّ أنّك إذا قلت : علم الله ، فقد استشهدت فلذلك صار فيه معنى القسم .

فلما علم السامع أنّك غير مخبر عن الله بأنك فعل جاز أن يقع على ما ذكرناه ، ولم يقدم عن ناقله إلا على ذلك ، فإن أخبر عن خبر صادق كان مجاز سائر الأخبار ، فقال الله تعالى :[لقد رضِيَ الله عَنُ المؤُمنين إذ يُبايِعُونكَ تحت الشَجرة فعلم ما في قُلوبهم فأَنزل السَّكينة عليهم وأثابهم فتْحاً قريباً] (٢).

غفر الله سُبحانك و تعالى لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهذا مجاز ، وكذلك : شهَد الله لأفعلن ، لأنّه بمنزلة : علم الله فمن تلك الأسماء قولك : لعمرك لأفعلنّ ، وعليّ يمين الله لأفعل.(٣)

في الأخير نخلص إلى أن للقسم بالإضافة الى حروفه وأدواته ، فالقسم نوعان قسم ظاهر صريح وهو ما صرح بالمقسم والمقسم به ، وقسم مُضمر بألفاظ يُدخل معنى القسم فيها ضمنياً أو هو ما لا يعلم بمُجرد لفظه كون الناطق به مُقسم .

١:موسى ابراهيم الابراهيم ،تأملات قرآنية بحث منهجي في علوم القرآن الكريم ،مطبعة دار الشهاب ،ص١٧٠ .

٢:سورة الفتح ، آية ١٨ .

٣:المُبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) ، المُقتضب ، تح: محمد عبد الخالق ، قاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٣٢٤ .

5:أركان القسم:

أركان القسم عند النحاة :حرف قسم، ومقسم به ،و مقسم عليه ،ومن النحويين من زاد فيها كابن خلويه ،إذْ قال:" واعلم أن القسم يحتاج لسبعة أشياء : أحرف القسم ،المقسم والمقسم به و المقسم عليه و المقسم عنده ،و زمان و مكان" .(١)

و لكننا سنتناول أهم هذه الأركان و هي أربعة :

٥_١:المقسم:وهو إما الله ،و إما العباد .

أما القسم بالعباد فيكون لتأكيد خبر أو دفع شك أو رد إنكار .و أما قسم الله فقد قيل فيه :ما معنى القسم منه تعالى ؟ فالقسم من وسائل التأكيد التي لا تليق به عزوجل لان من يقسم يضع نفسه موضع المتهم في صدقه ،وقد كثر القسم في القران الكريم كثرة تلفت النظر و تدعو إلى التساؤل ،و تعددت مذاهب الفقهاء و المفسرين في الرد عليه .

و للإجابة على هذا السؤال ،يذكر الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القران قول الأستاذ أبو القاسم القشيري : "إن الله ذكر القسم لكمال الحجة و تأكيدها ، و ذلك ان الحكم يفصل باثنين : إما بالشهادة و إما بالقسم فذكر تعالى النوعين حتى لا يبقى لهم حجة ".و هذا إنما يكون مع الكافر، أما المؤمن فانه لا يحتاج إلى شيء من ذلك (٢).

مقسم المولى عزوجل ليس كقسم الناس ،فالله سبحانه و تعالى عندما يكون هو المقسم ،فقسمه أعلى واجل وأعظم من قسم الناس ، فالناس ، يقسمون بما هو أعلى و أعظم منهم ليرفعوا ما يقسمون من اجله .

و ذكر بعض المفسرين أن القسم إنما يجيء في القران ليقطع طريق الجدل الذي كان متوقعا من المخاطبين ،و بخاصة انه قد جاء لتأكيد عدد من القضايا التي بالغ القوم في إنكارها، وكان من شأنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يقولون :"انه يريد التفضيل علينا وه يجادلنا فيما يعمل خلافه، فلم يبقى له إلا أن يقسم فأنزل الله عليه أنواعا من القسم بعد الدلائل..."(٣).

١: سمية محمد عناية حاج نايف، صيغة نفي القسم في القران الكريم ، ص٢٠.

٢: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القران، تح: أبي الفضل الديمياطي، دار الحديث، مصر، ٢٠٠٦،ص٦٤٧.

٣: علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم، دراسة بلاغية- بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في بلاغة والنقد، ١٩٩١، مج:١، ص٨٨.

وذكر بعضهم أن القسم إنما جاء في القرآن لأن الناس ليسوا سواء في قبول الأخبار والتصديق بها فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الاقناعية نحو القسم.

يرى بعض العلماء إنما القران أنزل بلغة العرب، واثبات المطال بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب(١).

وهدا الرأي هو تعليلا لورود أساليب القران كافة، فكل أسلوب في القران الكريم ملتزما بما ألف العرب وعرفوا في كلامهم.

٥_٢:المقسم به: أما المقسم به كما يرى النحاة- كل اسم يذكر ليعظم بالقسم، قال ابن يعيش:" كل اسم من أسماء الله تعالى وصفاته، ونحو ذلك مما يعظم عندهم لأنهم كانوا يعظمون البيت".

نحو قوله:

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طاف حوله رجال بَنَوْهُ من قريش وجُرْهُمِ(٢)

وذكر ابن عصفور أن" المقسم به...كل اسم لله أو لما يعظم من مخلوقاته".(٣)وقال ابن أبي الربيع:" اعلم أن المقسم به كل اسم معظم، كانت العرب تحلف بآبائها فتقول: وأبي، وتقول: ورأسي ،إلا أن الشرع منع أن يحلف الرجل بغير الله ".(٤)

الأقسام اما أن تكون بما يعظمه ويعليه المقسم، أو يجليه وهو الله سبحانه وتعالى فوق هذه الأقسام، اِذاً فالمولى عز وجل ليس شيئا فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته، وهذا دليل على عظمة المولى عزّ وجل وقدرته في خلقه.(٥)

١: المرجع نفسه، ص٩٠.

٢: ابن علي بن يعيش، شرح المفصل ادارة الطبع المنيرية، ط١، مصر، (د.س)، ج٩،ص٩٣.

٣: ابن عصفور الاشبيلي، شرح جمل الزجاجي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م،ج١،ص٥٤٨.

٤: أحمد بن عبيد الله القرشي الاشبيلي السيتي، البسيط في شرح جمل الزجاجي ،تح:عياد بن عيد الثبيتي، ط١،دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م، ج٢،ص٩٢٣.

٥: صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم في القران الكريم، دار الفكر، ط١،عمان، الأردن، ٢٠٠٩م، ص٧٥-٧٦.

سواء أ كان بشرا معظما أم غير معظم، أو حتى شجرا أو حجرا، لأنه تعظيم لغير الله، وهذا التعظيم يشبه تعظيم المولى عزوجل، ولهذا سمي شركا، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" من حلف لغير الله فقد أشرك".(١)

ونجد أيضا الإمام الشافعي رحمه الله يقول:" من حلف بغير الله فليقل أستغفر الله". كما روى البخاري بإسناده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال:" ألا أن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.

ومن الأمور التي يجوز الحلف بها هي كالآتي:

- الحلف بعمر الله يعتبر يمينا على الإطلاق
- الحلف بكلام الله وكتابه والمصحف والقران والتوراة والإنجيل. والحلف بأية من القران مثال: آية الكرسي ،أو سورة من سوره مثال: سورة البقرة.
- الحلف بحق رسول صلى الله عليه وسلم.(٢)

إذن فعلى كل مسلم أن لا يقسم إلا بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته عزوجل، وكل من يخالف ذلك فهو آثم.

٥_٣:المقسم عليه أو جواب القسم: هو كل جملة حلف عليها بإيجاب أو نفي، نحو "والله ليقومن زيد".(٣)

فالقسم يحتاج إلى جواب، وجوابه لابد أن يكون جملة، وهي المقسم عليه. وجملة القسم إما أن تكون جملة فعلية أو اسمية، مثبتة أو منفية وجواب القسم إذا يختلف باختلاف نوعي القسم و هما: الاستعطافي (الطلبي) وغير الاستعطافي (الخبري)فاذا كان القسم استعطافيا أي انه جملة طلبية يراد بها توكيد جملة طلبة أخرى متضمنة على ما يثير الشعور والعاطفة ومن ثمة تعتبر جواب قسم .

١:محمد عبد القادر أبو فارس، كتاب الأيمان والنذور، دار الأرقم، ط١، عمان، الأردن،١٩٧٩م، ص٦٨.

٢: المرجع نفسه، ص٦٦- ٦٨.

٣:ابن العصفور الاشبيلي، شرح جمل الزجاجي، ص٥٤٩.

أما اذا كان القسم غير استعطافي و هو ما جيء به لتوكيد جملة خبرية و تقوية المراد منها

اي الغرض الذي ترمي اليه (١) ،كما ان جملة جواب القسم كجواب الشرط متعلق بما قبله ، اي أنَّها متعلقة بالقسم و هي إما فعلية او اسمية .(٢)

فالجملة الفعلية منها هي المثبتة التي تفتح بإحدى الادوات نذكر من بينها اللام و النون و ان المكسورة والمفتوحة ، وان المخففة وبل ،اما **الجملة الاسمية** منها هي المنفية التي تفتح بإحدى ا لادوات هي :"ما".(٣) و "ان" و "لا" وقد اختلف في جواز ربط الجملة الواقعة جواب القسم ب "لم" و "لن" ، فقال عن الرضي :"انه لا يجوز ربط جواب القسم المنفي بالأداتين، "لم" و " لن" وذلك لان حرف النفي يجوز حذفه في جواب القسم و لو حذف "لم" و "لن" فإن بقي عملهما فلا يصح ، و ذلك للاتفاق على ان العامل الحرفي لا يحذف ايضا لأنَّه لا يتعين أهو المحذوف "لم" ام "لن".(٤)

والقسم في الكلام إنَّما يكون لتأكيده و بيان اهميته و لفت الانظار الى حقيقته، ولا يكون القسم في الاحوال الظاهرة و العادية دون مقتضى اليه ،و إلا كان عبثا و لغوا في الكلام

ومنه فأركان القسم هي مُقسِم [وهو من يقوم بالقسم وحصرناه في العبد والله عزَّ وجل] و مُقسَم به [اسم يُذكر ليُعظم القسم وحصر في القسم بالله فلا أعظم منه]، ومُقسم عليه(جواب القسم)و[يكون بالإيجاب والنفي]،

1:عباس حسن ،النحو الوافي ،دار المعارف ،ط٣،مصر،(دس)،ج٤،ص٤٨٣.

٢:محمد علي ابو العباس ،الاعراب الميسر ،دار الطلائع ،القاهرة ،مصر،(دس)،ص١٣٩.

٣:محمد مختار السلامي ،القسم في اللغة وفي القران، دار الغربالاسلامي،ط١،بيروت،١٩٩٩م،ص٦٨.

٤: المرجع نفسه،ص٧٠_٧١.

٥_٥: التناسب بين المقسم به و المقسم عليه:

وصل الطبري الى احساس مبهم و قاصر بوجود صلة بين المقسم به و المقسم عليه ،حيث استدل على ذلك بما قاله في تفسير سورة {ص} ،عندما وجد المفسرين اختلافا في تفسير تسمية القران الكريم بالذكر ،بين الشرف و التذكير ، قال :وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال :معناه التذكير، لأن الله تعالى اتبع ذلك قوله :﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ (١) ،فكان معلوما بذلك انه أخبر عن القرآن الكريم أنه أنزلناه ذكرا لعباده، وإنَّ الكفار من الايمان به في عزة و شقاق .

وصرح الفراهي ، بأنَّ ابن القيم فسر أكثر آيات القسم عن طريق اظهار دلالة المقسم به على المقسم عليه. فإذا أشكل عليه ذلك، جعل المقسم عليه محذوفا، وجعل القسم دالا على صفات الله تعالى و ما ماثلها .ولم يكتف ابن القيم بذلك، بل حاول أن يربط بين الاقسام عند تعددها ؛قال عن القسم في سورة القيامة: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾.(٢) أنَّه جمع ـ سبحانه و تعالى ـ في القسم محل و جزاء و هو يوم القيامة .ومحل ـ الكسب ـ وهو النفس اللوامة.

وقال في سورة الفجر مفتتحا القسم بما يتضمن أول الصلوات:﴿الْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾، ثم ختمه بقوله : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(٣).

ووصف الدكتور محمد ابو شهبة مابين المقسم به والمقسم عليه في القران الكريم بالتوافق العجيب غير انه قد يخفى على غير ذي العقل الذكي ،و النظر الشفاف ،و الحس الدقيق ،الذي يحكم على الاشياء من غير و تفكير .

و قال الدكتور محمد بكر اسماعيل :إذا تأملنا في آيات القسم ،وجدنا الصلة جد قوية بين المقسم به و المقسم عليه ،و أدركنا أن بينهما تناسبا وثيقا ،بحيث لو جيء مكان أحدهما بشيء اخر لاختل النظام وذهبت مواطن الجمال و الجلال .(١)

١:سورة ص، آية (٢)

٢:سورة القيامة ، آية (١_٢)

٣:سورة الفجر، آية(١_٢_٣)

٤:حسين نصار، القسم في القران الكريم ،ص١٠٩ ـ١١٠ـ١١٢.

6_جملة القسم

لما كان للقسم في أصله ـ خبرا ؛جاء على ما تجيء عليه الجمل الخبرية ؛و لذلك تركبت جملة القسم من فعل و فاعل ،أو مبتدأ أو خبرا ،فكانت على ضربين :فعلية و اسمية .

٦_١ـ جملة القسم الفعلية: و تكون بفعل من الأفعال المختصة بالقسم ،نحو:أقسم و أحلف ،و حروف تعدى هذا الفعل إلى المقسم به ،واسم مجرور بهذه الحروف و هو المقسم به ،فهذا هو تركيب جملة القسم الفعلية .ومن هذا الضرب في القران الكريم قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(١)فالفعل المختص بالقسم هنا هو :أقسم ،و الحرف الذي عدى هذا الفعل إلى المقسم به هوالباء ،و الاسم المقسم به :يوم القيامة .

والمراد بفعل القسم ما كان صريحا فيه نحو: اقسم و أحلف.(٢)لا ما كان مضمنا معناه ؛كشهد و علم ؛لأن هذا و نحوه يجري مجرى القسم ؛فإذا قلت: علم الله لأفعلن و يعلم الله لأفعلن ، كان قولك: و الله لأفعلن. لأنه لما جاء توكيدا للخبر بعده ـ والقسم كذلك ـ ضمن معناه، ولذلك أجراه النحاة مجرى القسم.(٣)

وقد تجيء الجملة .وفيها فعل من أفعال القسم على النسق الذي تكون عليه جملة القسم الفعلية، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّـهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (٤)وقوله تعالى : ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ (٥)،ولا تعد مع ذلك قسما لأن الجملة لا تكون قسما إلا إذا أريد بها توكيد الخبر بعدها على سبيل الإنشاء ،و هذه المواضع و ما شابهها في القرآن إنما جاءت على سبيل الإخبار عن قسم ماض أو مستقبل.

٦_٢:جملة القسم الإسمية: وهي جملة من مبتدأ و خبر و تكون بذكر اسم من الأسماء المختصة بالقسم ،وهي : أيمن الله ،ولعمر الله ،ولعمرك، نحو: قولهم: أيمن الله لأفعلن ،ولعمر الله لأذهبن

١: سورة القيامة، آية: ١.

٢: ابن يعيش، شرح المفصل،ج٩، ص٩٣.

٣: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (د.ط)، ١٩٩٢م، ج٣، ص٥٠٤.

٤: سورة الانعام ، آية(١٠٦)..

٥: سورة التوبة، آية:

،ولعمرك انه الحق ،على حذف الخبر في جميع ذلك، و التقدير :أيمن الله، قسمي أو المقسم به ،وكذا في لعمر الله و لعمرك. (١)و (أيمن) المقصود هنا هو اسم موضوع للقسم، مأخوذ من اليمن و البركة؛ كأنهم أقسموا بيمن الله و بركته. و يلازم الإضافة إلى لفظ الجلالة غالبا.(٢)

أما (العمر):ففيه لغتان : فتح العين و ضمها، و اختاروا الفتح في القسم لكثرته في كلامهم طلبا للخفة ،و هو اسم يضاف إلى لفظ الجلالة نحو: لعمر الله ، ومعناه القسم ببقاء الله تعالى و دوامه ،و يضاف أيضا إلى المضمر نحو: لعمري، ولعمرك.(٣)ولم ترد جملة القسم اسمية في القران الكريم إلا في موضع واحد ،وذلك قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿ ٧٢﴾.(٤)

وهو قسم بحياة الرسول صلى الله عليه و سلم ،و اللام في (لعمرك) للابتداء و (عمر) مبتدأ، و الكاف مضاف إليه، و الخبر محذوف ، و التقدير :لعمرك قسمي أو لعمرك المقسم به ،على نحو ما تقدم ،و هي جملة قسم اسمية .(٥)

ويجيز بعض النحاة أن يكون من هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾.(٦)

على قراءة الرفع في (الحق) الأول ،و التقدير : فالحق قسمي أو ما أقسم به.(٧)

و هو في رأيي ليس كذلك لأن المبتدأ في جملة القسم الاسمية لا يخرج عن تلك الأسماء المختصة به، و هي (أيمن الله) و (لعمر الله)و (لعمرك)،هذا إلى أن تقدير الخبر على قراءة الرفع في الحق

١: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص٩١ ـ ٩٢.

٢: بهاء الدين بن عقيل، المساعد في تسهيل الفوائد، تح: محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٢م، ج٢، ص٣٠٩.

٣: المرجع السابق، ص٩٣.

٤: سورة الحجر،آية: ٧٢.

٥: الفراء، معاني القرآن، ج٢، ص٤١٣.

٦ سورة ص، آية: ٨٤ ـ ٨٥.

٧::ابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد القرشي الأشبيلي السبتي، البسيط في شرح جمل الزجاجي،تح: عياد بن عبد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م، ج٢، ص٩٣٢:

الأول ـ هو : فالحق مني ،أو يكون المحذوف في قوله تعالى :(فالحق) هو المبتدأ،و التقدير : فأنا الحق كما ذهب إليه بعض النحاة .(١ت)

٦_٣/صيغة نفي القسم:

ورد في عجم لسان العرب لابن المنظور مادة(نَفَى)، يقال نفى الشيء ينفي نفيا. ونفى الشيء نفيا أي جحده(٢)

وقد تميز وانفرد القران الكريم باستعمال صيغة لم تَرِدُ في ما وصل من اثأر العرب في الجاهلية لا في شعرهم ولا نثرهم وهي صيغة نفي فعل القسم لا (أَقْسِمْ)

"لاَ" هي أحد حروف الهجاء، وهي تأتي نافية للجنس، أو ناهية عن أمر، أو بمعنى غير، أو زائدة وتارة تعمل عمل إنَّ، أو عمل ليس، أو غير ذلك من المعاني.

ومن أساليب اللغة العربية إدخال لا النافية للجنس على فعل القسم:،(لا أقْسِمُ) من أجل المبالغة في توكيد القسم، بمعنى أنه لا **يقسم** بالشيء إلا تعظيما له، وقيل: هي للنفي بمعنى لا أقسم به إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أصلا فضلا عن هذا القسم العظيم.

٦_٣_١/ أراء العلماء في صيغة(لا أقسم):

اختلف العلماء والمفسرون في عرض أقوالهم لتفسير آيات نفي القسم في القران الكريم اختلافا كبيرا، وتباينت أراءهم في قوتها وضعفها، وفي بعض الأحيان كانت متضاربة ومن مجمل أقوالهم:

أـ (لا أُقْسِمُ) بمعنى (أُقْسِمُ)، و(لا) زائدة للتوكيد أو صلة في الكلام، وجودها كعدمه:

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بافتراضهم أن(لا) وردت في القران الكريم زائدة في مواضع عدة، وأن هناك صلة على عدة العرب، فإنها ربما لفظت بلفظة "لا" من غير قصد معناها الأصلي، بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده (٣)

١: ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج٢، ص٣٢٠.

٢ ابن منظور، لسان العرب، ص ٤٥١١.

٣: محمد الأمين بن محمد بن المختار الحكبني الشنيقطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف مكتب البحوث والدراسات(د،ط)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥،ج ٠٨،ص٣٧٠

كقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾. (١) يعني أن تتبع كما اعتمدوا على جوانب أخرى كقولهم: "إن القران كله كالسورة الواحدة، ولذلك جازوا زيادة (لا) في بداية الكلام ،وحرف الزيادة في العربية له دور في إثبات الكلام وتأكيده، وإن فُقِد هذا الحرف تأثر المعنى بفَقْد معنى التوكيد منه فصار أقل درجة. ومن هنا نفهم ونستنتج أن حرف الزيادة ليس عبئاً إضافيا أو شيئاً مهملا يمكننا التخلص منه بسهولة.

ب - (لا) في (لا أُقْسِمُ) رد لكلام يخالف المقسم عليه، و(أُقْسِمُ) كلام مُسْتأنِف:

ورد هذا الرأي عند كثير من المفسرين والنحويين، فمنهم من ذكره رأيا ضمن الآراء التي قيلت في صيغة (لا أُقْسِمُ)، منهم من تبناه معنى (لا) في الصيغة نفسها.(٢)، قال الفراء في تفسير قوله تعالى: : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣)

(..ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا: البعث، والجنة، والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه، وغير المبتدأ: كقولك في الكلام: لا والله لا أفعل ذاك، جعلوا (لا) وان رأيتها مبتدئة ردا لكلام كان قد مضى.(٤)

كما جاء في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن "لمحمد الأمين الحكبني التشقيطي: " كل يمين قبلها رد كلام، فلا بد من تقديم (لا) قبلها، ليفرق بذلك بين اليمين التي تكون جحدا واليمين التي تستأنف (٥)

ج - (لا أقسم) أصلها (لأُقسم)

و هي أن (لا) الواردة في صيغة (لا أُقْسِمُ) هي لام أشبعت فتحتها فصارت (لا) والأصل (لأقسم).و يعتمد هذا الرأي بالتحديد على آية وردت في سورة القيامة دون سواها من الآيات التي وردت فيها الصيغة (٥).وهي: قال الله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

١: :سورة طه، آية: ٩٢ - ٩٣.

٢أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط١،(د.س)، ج٢، ص٧٧٦.

٣:سورة القيامة، آية: ١.

٤: الفراء، معاني القرآن، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣، ج٣، ص٢٠٧

٥:محمد الأمين محمد بن المختار الحكبني الشنقيطي ص ٣٦٩

د ـ (لا) في صيغة (لا أقسم) نفي للقسم:

و هي أن الله سبحانه و تعالى يرفض و يمنع عن القسم ،و منه فالصيغة تؤدي معنى (لا أقسم) أو (لن أقسم)،و قد ذكر العلماء و المفسرين جملة من الآراء في محاولة منهم لشرح الصيغة فقالوا :

ـ هي تنزيه و شرف لله سبحانه و تعالى أن يقسم على أمر لا يحتاج إلى قسم.

ـ تعظيم المقسم عليه و الرفع من شأنه ،و أن يكون أهم من أن يقسم عليه بأمور هينة .

ـ لا ضرورة للقسم إذا الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أصلا.(١)

٦_٤المحذوفات في جملة القسم :

ذكرنا في موضع سابق من هذا البحث أن أركان جملة القسم الفعلية تتكون من الفعل و الأداة و المقسم به . و بناء على ذلك ، فان الحذف في هذه الجملة قد يطرأ على كل ركن من أركانها ،فقد يحذف الفعل ، و قد يحذف المقسم به و الأداة ، و قد تحذف الأداة ،و قد تحذف جملة القسم برمتها ،أي: الفعل و الأداة و المقسم به .

و يمكننا تفصيل ذلك فيما يلي :

٦_٤_١/ حذف فعل القسم :

ذكر النحاة أن فعل القسم يحذف جوازا إذا كان حرف القسم المستعمل هو "الباء" ، فإذا كان حرف القسم غير الباء ،فالحذف يكون وجوبا ، قال ابن عصفور :"و لما كان ما عدا الباء من حروف القسم ليس مستعملا بحق الأصالة في باب القسم ،لم يظهروا معه .فعل القسم و أظهروه مع الباء فقالوا :أقسم بالله ، و أحلف بالله". (٢)

و قد علل ابن يعيش سبب الحذف بقوله: "و لما كان القسم مما يكثر استعماله يتكرر دوره بالغوا

١:شمس الدين القرطبي ،الجامع لأحكام القران ، تح: هشام سمير البخاري،(د،ط)، دار عالم الكتب ،الرياض،السعودية، ٢٠٠٣م، ج١٧، ص٢٢٣.

٢: ا ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، ج١، ص٥٢٦

في تخفيفه من غير جهة واحدة ،فمن ذلك أنهم قد حذفوا فعل القسم كثيرا للعلم به و الاستغناء عنه ، فقالوا :بالله لأقومن ، و المراد أحلف بالله . (١)

و قد أشار الزركشي إلى ندرة مجيء الباء و الفعل محذوف ، بقوله: " أكثر الأقسام محذوفة الفعل في القران ، لا تكون إلا بالواو ، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل ،... و لا تجيء الباء و الفعل محذوفا إلا قليلا ."(٢)

٦_٤_٢ /حذف المقسم به و أداة القسم :

قد يحذف المقسم به و الأداة و يكتفي بذكر فعل القسم ، قال ابن يعيش : و ربما حذفوا المقسم به و اجتزأوا بدلالة الفعل عليه ... و إنما حذفت لكثرة الاستعمال و علم المخاطب بالمراد .(٣) و استشهد لذلك بقول الشاعر :

فأقْسِم أن لوْ التقينا و أنتمْ لكان لكمْ يوم من الشر مظْلِم

٦_٤_٣ / حذف أداة القسم :

قد يحذف حرف القسم في كلام العرب و يعوض عنه ب (هاء) التنبيه نحو قولهم : إي ها الله ذا ، أو بهمزة الاستفهام نحو : أ فالله لتفعلن ،و المقسم به مجرور بهذه الحروف الجديدة ، كما يجر بحرف القسم ،لأنها قائمة مقامه في ذلك ، و لا يجوز فيه هنا إلا الجر(٤) ، و قيل إن هذا التعويض لا يستعمل إلا مع اسم الله خاصة.(٥)

و يستدل على أن هذه الحروف عوض عن حرف القسم المحذوف بأنه لا يجوز الجمع بينهما و بين حرف القسم، فلا يقال: ها و الله، ولا: أو الله، و كذلك فان الألف لا تقطع مع

١: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩،ص٩٤.

٢::الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٤٨.

٣: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص٩٤.

٤:المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٢،ص٣٢١.

٥:ابن عصفور ،شرح جمل الزجاجي، ج١، ص٥٣٢.

الواو بل يقال: أفو الله، فدل ذلك على أن هذه تعويض عن حرف القسم.(١)

و لم يرد مثل هذا في القران الكريم إلا على بعض القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّـهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.(٢)، فقد قرئ (شهادة) بالتنوين ، و (الله) بقطع الهمزة من غير مد مع جر لفظ الجلالة ، و قيل في توجيه هذه القراءة ، إن اسم الله تعالى مجرور بما عوّض به عن حرف القسم المحذوف ، و هو هنا قطع ألف الوصل . و قرئ بذلك أيضا إلا أنه بقطع الهمزة و مدها ، و على هذه القراءة تكون همزة الاستفهام هي ما عوّض به عن حرف القسم.(٣)

و ربما حذفت العرب من غير تعويض ، و إذا كان ذلك نصب المقسم به كقولهم : الله لأفعلن ، و منه قول ذي الرمّة :

ألا ربّ من قلبي له الله ناصح و من قلبه لي في الظباء السوانح .

والمقسم به في هذه المواضع منصوب على حذف حرف القسم، و التقدير: و الله ناصح. (٤)و ثمة أسماء أقسم بها العرب و التزموا فيها الرفع و حذف الخبر نحو: أيمنُ الله لأفعلن ،و لعمر الله لأخرجن ،ولعمرك لأقومن ،و هي أسماء تختص بالقسم و لا تستعمل في غيره و ربما جاء حذف القسم مع إبقاء المقسم به مجرورا ، قال سيبويه : " ومن العرب من يقول : الله لأفعلن ، و ذلك أنه أراد حرف الجر ، و إياه نوى ،فجاز حيث كثر في كلامهم ". و لا يكون هذا إلا في اسم الله تعالى خاصة لكثرة القسم به في كلامهم، و في غير التاء إذا أريد بها التعجب، لأنها حينئذ لا تحذف، و كذلك اللام.(٥٢)

١::المرجع السابق، ٣٢٢.

٢:سورة المائدة، آية:١٠٦.

٣:أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البحاوي، (د.ط)، (د.س)، ج١، ص٤٦٨.

٤:سيبويه، الكتاب، ج٣، ص٤٩٧.

٥:المرجع نفسه، ص٤٩٨.

غير أن المبرد لم يجز جر المقسم به في نحو هذا، "لأن حرف الجر لا يحذف و يعمل إلا بعوض ".(١)

و قد تبين ممّا سبق إن حرف القسم قد يحذف ويعوض عنه ، و في هذه الحال لا يجوز في القسم به إلا الجر، أما إذا حذف حرف الجر دون أن يعوض عنه بشيء، فيجوز في المقسم به النصب و الرفع. و تبين أيضا أن المقسم به قدير يرِدُ مجرورا وهذا مختص بلفظ الجلالة عند سيبويه وخالفه فيه المبرد .

٦_٥_٤:حذف جملة القسم :

تحدثنا فيما سبق عن وجوه بناء جملة القسم ، و أنواعها ،و عناصر تركيبها ، و مما ذكره النحاة أن بعض عناصر هذه الجملة قد يحذف من الكلام ، و يبقى ـ مع ذلك ـ ما يشير إلى أنها مبنية على القسم ، كحذف فعل القسم ، أو حروفه ، أو هما معا ، أو المقسم به ، ـ على رأي بعضهم ـ أو خبر المبتدأ في جملة القسم الاسمية .

و قد ذكروا أن هذه المحذوفات إنما كثرت في باب القسم لكثرة جريانه في كلام العرب ، فاستغنوا ببعض عناصره عن بعض ، و اكتفوا بما يدل على المراد إيثارا للخفة ، و نزوعا إلى الإيجاز و الاختصار. و مما هو جار على هذا ـ عندهم ـ حذف جملة القسم كاملة ـ و الاستغناء بجوابها عنها ، و لهم في معرفة المواضع التي حذف فيها القسم دلائل جعلوها قرائن على وجود قسم مضمر لابد من تقديره .

و قد تعددت القرائن التي يستدل بها على إضمار القسم و تقديره، و ذلك أنه يقدر "مع اللام ، و مع إن ، لأنهما لا يكونان إلا على نية القسم ، و ذلك قولك : ليقومن زيد و لقد قام زيد ، وان زيدا لقائم ، جميع ذلك على نية قسم محذوف ".(٢)، و هذا الحذف كثيرا جدا ، و هو لازم مع غير الباء من حروف القسم ، و حيث قيل : (لافعلن) أو (لقد فعل) أو (لئن فعل) و لم يتقدم جملة قسم فثم جملة قسم مقدرة ، نحو : "لأعذبنه عذابا شديدا " ، "و لقد صدقكم الله وعده "، "لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ". و اختلف في نحو (لزيد قائم) و نحو (إن زيدا قائم ، أو لقائم) هل يجب كونه جوابا لقسم أو لا ؟ (٣)

١:المبرد، المقتضب، ص٣٣٦.

٢: ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، ج١، ص٥٣٠.

٣:ابن هشام الأنصاري جمال الدين، مغني اللبيب، تح: مازن المبارك، دار الفكر، القاهرة،ط١، ج٢، ص٧١٨.

ومن هنا يتضح أن القسم يقدر لوجود اللام الداخلة على المضارع المؤكد بالنون أو الداخلة على (قد) ، أو الداخلة على الشرط ، أو على الجملة الاسمية ،أو اعتمادا على وجود (إن) سواء وجدت اللام في خبرها أو لم توجد ، و سنقف عند كل قرينة من هذه القرائن :

أولا: اللام الداخلة على الفعل المضارع المؤكد بالنون:

يرى النحاة أن اللام إذا جاءت مع الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد ، و لم يتقدمها قسم ظاهر ، دلت على قسم محذوف قبلها ،وذلك نحو قوله تعالى: لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } (١) فقد جعل الخليل اللام في قوله (لتبلون) دالة على قسم مضمر ، و التقدير : و الله لتبلون.(٢)

و لا يعد الخليل هذه اللام لام القسم إذا تقدمتها لام الشرط ، لأنها تكون حينئذ لام تأكيد ، و لا يلزم ـ عنده ت إضمار القسم قبلها نحو قوله تعالى: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (٣)

فاللام في (ليسجنن) لام تأكيد لتقدم لام الشرط قبلها ، أما إذا جاءت هذه اللام و ليس قبلها لام شرط فلابد من إضمار القسم قبلها.(٤)

وفي نصوص النحاة ما يشير إلى سبب تقديرهم القسم في هذا الموضع ، و هو أنهم يرون إن هذه اللام لا تأتي و معها النون إلا جوابا للقسم ، قال الأخفش : " اللام التي بعدها النون قد لا تكون إلا بعد القسم ".(٥)و يجعل الهروي اللام في قوله تعالى : (و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته).(٦)، لام جواب القسم ، و يعلل ذلك بلزوم النون إياها و النون لا تلزم الفعل مع اللام إلا في جواب القسم.(٧)

١:سورة آل عمرات، آية:١٨٦.

٢:الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٢٥٥.

٣:سورة يوسف، آية:٣٢.

٤:المرجع السابق،ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

٥:أبو الحسن المجاشعي بالولاء البصري الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ج١، ص٢٦٤.

٦:سورة النساء، آية: ١٠٩.

٧:أبي الحسن علي بن محمد الهروي، اللامات، تح: يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١،(د.س)، ١٩٨٠م، ص٩٦.

و من هنا يتضح أن النحاة إنما قدروا القسم قبل هذه اللام لورود النون بعدها و هذا لا يقع ـ عندهم ـ إلا في جواب القسم، فكأنهم شبهوا هذه اللام باللام الواقعة في جواب القسم.على أن بعض النحاة قد قدر القسم قبل هذه اللام و إن لم ترد معها النون، و ذلك في قوله تعالى:(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ).(١) فقد جعل ابن الأنباري اللام الداخلة على (سوف) للقسم ،و ذكر أن النون لم تلحق اللام هنا ـ مع ملازمتها لها في هذا الموضع ـ " لأن النون إنما تدخل لتدل على أنها لام قسم ، لا لام ابتداء ، فلما دخلت على(سوف) علم أنها لام قسم لا لام ابتداء لان لام الابتداء لا تدخل على (سوف).(٢)

ثانيا: اللام الداخلة على قد:

مما يستدل به النحاة على وجود قسم محذوف اللام الداخلة على (قد) ، نحو قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ ﴾.(٣)،(فقد ذهب النحاة إلى أن هذه اللام مقدرة لقسم قبلها قال الزجاج في الآية السابقة : "اللام في (لقد) لا قسم "(٤).

و عد الروماني من هذا الباب قوله تعالى: لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.(٥)، جاعلا اللام هنا للقسم و قد اعتمد في هذا على أن لام القسم إذا دخلت على الفعل الماضي كانت معها (قد)، كقولك: و الله لقد قام زيد.(٦)

ثالثا :اللام الداخلة على المبتدأ:

من القرائن التي قدر معها بعض النحويين القسم اللام الداخلة على المبتدأ ، و هي التي يسميها النحاة لام الابتداء.(٧)

١:سورة الضحى، آية: ٥.

٢:ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، ج٢، ص٥٢٠.

٣:سورة البقرة، آية: ٩٩.

٤:أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج١، ص١٠٧.

٥:سورة الأحزاب، آية:٢١.

٦:أبو الحسن علي بن عيسى الروماني، معاني الحروف، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دمشق، ط١، (د.س)، ص٥٤.

٧: أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، كتاب اللامات، تح: مازن المبارك، دار الفكر، ط١، ١٩٨٥م، (د.س)، ص٧٨.

فقد "ذهب الكوفيون إلى أن اللام في قولهم (لزيد أفضل من عمرو) جواب قسم مقدم ،والتقدير :و الله لزيد أفضل من عمرو ، فأضمر اليمين اكتفاء باللام منها "(٢)

و قد ذكر الفارسي وابن جني أن معنى الابتداء و الجواب ملازم لهذه اللام ،إلا أنها قد تخلص للابتداء في نحو قولهم : لعمرك لأقومن ، لأن القسم لا يجاب بالقسم و لذلك ذهبا إلى أن معنى الابتداء اعم من معنى القسم فيها . و يعني هذا أنها مع كونها للابتداء ـ واقعة في جواب قسم إلا إذا تعذر تقديره كما في المثال السابق ، و لهذا يرى ابن جني أنه لا يجوز "أن يكون التقدير : الله لعمرك لأقومن ، كما يجوز إذا قلت : لزيد قائم ـ أن يكون تقديره : و الله لزيد قائم ".(٣)

ويتضح من هذا أن الفارسي وابن جني يذهبان مذهب الكوفيين في تقدير القسم مع هذه اللام، و قد صرح ابن جني في النص السابق بجواز تقديره في قولهم: لزيد قائم.

و السبب في تقدير الكوفيين للقسم في هذا الموضع هو أن هذه اللام لام قسم عندهم ، لجواز أن يقع بعدها المفعول الذي يجب فيه النصب في مثل قولهم : لطعامك زيد آكل،و على هذا منعوا أن تكون اللام للابتداء ، لأنها لو كانت كذلك للزم أن يكون ما بعدها مرفوعا.(٤)

١:عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الفكر، (د.ط)، (د.س)، ج١، ص٣٩٩.

٢:أبي الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م، ج١، ص٣٧٣.

٣:المرجع السابق، ص٣٩٩.

نصل هنا الى نهاية المبحث الأخير في الدراسة النظرية ،والذي عرضنا فيه أهم ما يلزمنا الأشارة إليه من أركان وأنواع وأدوات ، وخصائص لهذا الأسلوب ، باتباع أراء النحويين والبلاغيين في هذا الأسلوب

وننتقل بعده الى الفصل الثاني ؛والدراسة التطبيقية والذي سيكون الحديث فيه باختيارآيات من القرآن الكريم كنموذج للدراسة في هذا الفصل ، تناولت أسلوب القسم باتباع دراستين الأولى إحصائية والأخرى دلالية .

الفصل التطبيقي

١_ لمذا أقسم الله تعالى في كتابه الكريم ؟

افتتح القرآن الكريم كثيرا من السور القرآنية بالقسم ، فورد القسم من الله تعالى في مواقف كثيرة ، وذلك لأُمور كثيرة: منها ما هو معلوم من أن القسم وسيلة قوية للتأكيد يُستعان بها لدفع شك أو رد إنكار ، وقد نزل القرآن للناس كافة ،ووقف الناس منه مواقف متباينة ، فمنهم الشاك ومنهم الناكر و...، فجاء القسم في القرآن لإزالة الشكوك وإحباط الشبهات.

والشُبهة المثارة هنا أن القسم من وسائل التأكيد التي لا تليق بالله عز وجل لأنَّ الذي يقسم يضع نفسه موضع المتهم في صدقه، وقد كثر القسم في القرآن كثرة تلفت النظر و تدعو للتساؤل ؛ كما أنه قد ورد في القرآن نفسه ذم كثرة الحلف وجعل ذلك من الصفات المذمومة ، في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾(١)، ولأن المخاطب لا يخلو من أن يكون مؤمنًا لا يحتاج الى القسم ، أو كافرًا لا يفيده فهو يطلب دليلاً(٢).

وقد تعددت مذاهب الفُقهاء والمفسرين في الرَّد على هذه الشبهة وقد تباينت مواقفهم في التصدي لها، ومن هذه الآراء ما ذهب اليه أبو القاسم القشيري ذلك أن الله تعالى ذكر القسم لكمال الحُجة وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل باثنين ، إما بالشهادة وإما بالقسم فذكر الله تعاى النوعين في كتابه حتى لا تبقى لهم حُجة ، فقال: ﴿ شَهِدَ اللَّـهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾(٣)، وبالنسبة للقسم قال تعالى ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴿٥٣﴾﴾(٤).وواضح أن هذا الرأي يجعل القسم مكملًا للحجة التي تكون في الشهادة ومؤكداً لها فلا يبقى لمحتج من سبيل ، وهذا إنَّما يكون مع الكافر ، أمَّا المُؤمن فلا يحتاج الى شيء من هذا كله ؛ ولذلك يختص هذا الجواب بالقسم الموجه الى الكافرين .

وذكر بعض المفسرين أن القسم إنَّما يجيء في القرآن ليقطع طريق الجدل الذي كان متوقعًا من المخاطبين ، وبخاصة أنَّه قد جاء لتأكيد عدد من القضايا التي بالغ القوم في إنكارها ، وكان

١: سورة القلم،الآية ١٠ .

٢:الفراهي ، الإمعان في أقسام القرآن ، ص٢ .

٣:سورة آل عمران ، الآية ١٨ .

٤:سورة يونس ، الآية ٥٣ .

من شأنهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنَّهم كانوا ينسبون إليه في بعض الأوقات الجدل بالباطل ، فيصبح جدله معهم حينئذ غير نافع في إثبات القضية (١) ، أو يقولون :"إنَّه يُريد التفضل علينا وهو يُجادلنا فيما يعلمُ خِلافه ، فلم يبقى له إلا أن يُقسم فأنزل الله عليه أنواعًا من القسم بعد الدلائل ؛ ولهذا كثرت الايمان في أوائل التنزيل وفي السبع الأخير خاصة ".(٢)

وهذا الرأي كسابقه في أنَّه يختص بالقسم الموجه للكافرين ، ولا يصدق على مواضع أُخرى من قسم القرآن يُقسم فيها جل شأنُه لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وذكر الرازي من بين الأجوبة على هذا الاعتراض أنَّ العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة وتعتقد بأنَّها تُخرب الديار ، فكانت سلامة القسم دليلا على صدقه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُقسم لهم في كل حين ، وبكل شيء "ولم يزده ذلك إلا رفعة وثباتًا ، وكان يُحصل لهم العلم بأنَّه لا يحلف بهذا كذباً وإلا لأصابه شؤم الأيمان ولناله المكروه في بعض الأزمان "(٣)، فكان صدور القسم منه صلى الله عليه وسلم مع سلامته_ فيما يُفهم من كلام الرازي _ دليل على صدقه .

فهذا الرأي يعتد بجعل القسم فقط من أجل إثبات المطلوب ، فهذا القول لا يخرج عن الآراء السابقة في النظر على أن القسم توكيد محض .

وذكر بعضهم أن القسم إنَّما ذكر في القرآن لأن الناس ليسوا سواء في قبول الأخبار و تصديقها ،"فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي ، بل ينتفع بالأشياء الإقناعية ، نحو القسم فإن الأعرابي الذي جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ،وسأل عن نبوته ورسالته اكتفى بتلك الدعوى بتحقيق القسم ".(٤)

ويبدوا أنَّ القائلين بهذا الرأي لا يرون في القسم إلا طريقة للإقناع يستوي فيها مع أي مُؤكد آخر.

١:محمد الرازي فخر الدين ،تفسير الكبير و مفاتيح الغيب ،دار الفكر ، دمشق ، ج٢٨ ص٩٢.

٢: نفس المرجع ، ج٢٩ ، ص١٨٧.

٣:نفس المرجع ،ج٢٦ ،ص٤٧ .

٤:السيوطي ،الاتقان ،ج٤ ،ص٥٣ .

ويرى بعض العلماء :"أنَّ القرآن إنَّما أنزل بلغة العرب؛ فإثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب ". (١)

وهذا الرأي يمكن أن يكون تعليلا لورود أساليب القرآن كافة ، إذا احتكمنا الى المألوف المعروف عند العرب ، فكل أُسلوب في القرآن إذًا جاء على ما ألف العرب وعرفوا في كلامهم إلا أنَّ الذين يقولون بأنَّ القسم قد جاء على عادة العرب في كلامهم من شأنه _إنْ أحسن توجيهه _ أنْ يكون مدخلاً هاديًا الى طريقة القسم في القرآن وذلك أن الناظر في استعمال العرب لهذا الأُسلوب يُدرك أنَّهم لم يلجؤوا إليه دائمًا في مقام التحقيق والتوثيق ، كما أنَّهم لم يُقسموا دائما بما يخافونه أو يحترزون منه ، ولم تكن كل المواقف التي أقسموا فيها مواقف جدل مع منكري الخبر المُساق ... ، فقد كانت لهم أقسام بعيدة كل البُعد عن أن يقصد بها توكيد الخبر عند المخاطب ، كما كانت لهم أقسام بما هو ضعيف الشأن حقير القدر مما لا يرجى خيره ولا يخاف قدره ، وأقسموا بكثير من الجمادات التي لم يُعرف عنهم أنَّهم كانوا يحفظون لها شيئا من تشريف أو تقدير ، وكل هذا يهدي الى السبيل الذي كان عليه القوم في قسمهم .(٢)

فالإقسام إما أن تكون بما يُعظمه ويُعلِّيه المُقسم ، أو يُجلُّه وهو الله سُبحانه وتعالى فوق هذه الأقسام ، إذاً فالمولى عزَّ وجل ليس شيء فوقه ، فأقسم تارة بنفسه وتارة بموضوعاته وهذا دليل على عظمة المولى عزَّوجل ، وقدرته في خلقه ، وما أقسم عليه الرَّب فهو من آياته ، فيجوز أن يكون مُقسما به ولا ينعكس .(٣)

١الرازي ،مرجع سابق ، ج ٧ ، ص١٢١.

٢: النجيرمي(أبو إسحاق ابراهيم بن عبد الله بن محمد) ، أيمان العرب في الجاهلية ،مطبعة السلفية ، القاهرة،١٣٤٣ه ، ص٤٧ .

٣:صبحي عمر شو ، أُسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، دار الفكر ، ط١ ، عمان الاردن ، ٢٠٠٩ ، ص٧٥ .

نستنتج مما سبق من آراء العلماء أنهم تناولوا القسم القرآني من زاوية ايصال الخبر على وجه اليقين ليصل الى المخاطب في أوثق صورة ؛ فالقسم يكون تارة لتأكيد الشهادة ، وتارة أُخرى لإثبات صدق المتكلم عند المخاطب اعتمادا على مكانة القسم مع غيره من أساليب التوكيد ، ولذلك فهي فقط يمكن أن تعلل ورود القسم في القرآن الكريم من جهة كونه واحدا من هذه الأساليب

1_أنواع وأنماط القسم في القرآن الكريم :

أسفرت عملية استقراء القرآن الكريم _حول ورود القسم _أنه قد أقسم سُبحانه بثلاثٍ :

أحدها: بذاته ، كقوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ (١)

الثاني: بفعله ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾(٢)

الثالث: مفعوله، في قوله عزَّ وجل : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾(٣)

وهو ينقسم باعتبار آخر الى مظهر ومضمر:

القسم الصريح وهوما صُرِّح فيه بالمقسم به ، كقوله تعالى ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (٤)، والمضمر، يكون إمَّا باللام أو يُفهم من المعنى . (٥)

فكما ذكرنا أنَّ الله عز وجل قد أقسم في كتابه باسمه وفعله ومفعوله ، فقد أقسم الى جانب ذلك بطوائف من الملائكة كما في أول سورة الصافات والذاريات والنازعات .(٦)

أمَّا أدوات القسم فهو لم يخرج عما شاع استعماله عند العرب وأكثرها استعمالاً عندهم وهي الباء والواو والتاء _ اللَّام في قِسْم القسم المضمر_ ؛ فالله عز وجل قد أقسم باسمه وصفاته ، وبمخلوقاته مستعملاً في ذلك أدوت القسم وأنواعه (الظاهر والمضمر) .

---

١ : سورة الذاريات ، آية ٢٣

٢: سورة الشمس ، آية ٥ .

٣:سورة النجم ،آية ١

٤: سورة التين ،آية ١_٣

٥:الزَّركشي ،البرهان في علوم القرآن ، ص ٤٢ .

٦: مرجع سابق ، ص٤٣

كما أقسم بالزمان والمكان، لتثبيت قيمة الوقت ، وأنَّ الحياة رحلة زمنية يجب الاعتبار بقصرها ، ويجب ملؤها بالأعمال الصالحة كما أنَّه نبه في هذا الوضع من القسم بالأحداث البارزة التي حدثت للأُمم الماضية ليعتبر الناس ويتَّعظوا بفناء هذا العالم وبقاء العالم الآخر(١).

2_الدراسة الإحصائية:

2 _١: **لفظ القسم:** ورد لفظ القسم في القرآن الكريم ٢٣ مرة على النحو التالي:

اللفظ	تكراره في القرآن	المواضع التي ورد فيها
أقسم	٨ مرات	سورة:[الواقعة(٧٥)، الحاقة(٣٨)، المعارج(٤٠) ،القيامة(١) القيامة(٢)، تكوير(١٥)، الانشقاق(١٦)، البلد(١)].
قسم	مرتين	الفجر(٥)، الواقعة(٧٦).
أقسموا	٦ مرات	المائدة(٥٣)، القلم(١٧)، الأنعام(١٠٩)، النحل(٣٨) ،نور(٥٣)،فاطر(٤٢).
يُقسمان	مرتين	مائدة(١٠٦)، (١٠٧)
قاسمهما	مرة واحدة	الأعراف(٢١)
تُقسموا	مرة واحدة	نور(٥٣)
يُقسمون	مرة واحدة	الزُّخرف(٣٢)
قسمنا	مرة واحدة	الزُّخرف(٣٢)
تستقسموا	مرة واحدة	المائدة(٣)

جاءت كل هذه الألفاظ في القرآن الكريم بمعنى واحد (اليمين)،إلا آية الزُّخرف﴿ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١)،فقد جاء فيها اللفظين(يُقسمون وقسمنا) بمعنى التجزئة.

١:الزُّخرف، آية(٣٢)

٢_٢ : حروف القسم:

أسفرت الدراسة الإحصائية للقسم في القرآن الكريم أنَّ الله قد أقسم في كتابه في أكثر من مئتي موضع بالإجمال ؛ فقد أعطانا فخر الدين الرازي إحصائيتين تتعلقان بهته الأقسام ، كشف في الأولى منها عن مواضع الحروف في المصحف ، وفي الثانية عن عددها فيه ؛ فذكر أنَّ القسم بالحروف وقع في النصفين جميعا ،بل في كل سبع في أول ثمانية وعشرين سورة ،أما بالأشياء المعدودة في أربعة عشرة سورة ،و لم يوجد الّافي النصف الأخير بل لم يوجد إلاَّ في السبع الأخير ،... والقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن الَّا في أوائل السور ،ذلك أنَّ القسم بالحروف له موضع واحد وبالأشياء له موضعان في أوَّلها وفي آخرها (٢) .

أي أنَّ القسم بالحروف يرد في أوائل السور فقط ولا يجوز في موضع آخر، ذلك لأن ذكر مالا يفهم معناه في أثناء الكلام المنظوم يُخل بالمعنى على غرار القسم بالأشياء.

والقسم من الله وقع بأمر واحد ، كما في قوله تعالى ﴿ والعصر ﴾, وبحرف واحد ، كما في قوله تعالى (ص_ ن) ،كما وقع بأمرين (والضحى والليل إذا سجى) ،وبحرفين كقوله تعالى(طه ،حم يس ،طس)،وبثلاثة أمور كقوله تعالى (والصافات ،فالزاجرات والتاليات) وبثلاثة أحرف كقوله تعالى (الم، طسم ،الر)،وبأربعة أمور كما في (والذاريات)وفي (والسماء ذات البروج) وفي(والتين)، وفي أربعة أحرف (المر) ، وبخمسة أموركما في (والطور) وفي خمسة أحرف (كهيعص و حمعسق)، ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء إلا في سورة واحدة وهي (والشمس وضحاها) ولم يقسم بأكثر من خمسة أصول (٣).وقد انفرد بهذا الرأي دوناً عن غيره من المفسرين، ولم يُعدها قسما غيره.

---

١ : عبد الجليل عبد الرَّحيم ، لغة القرآن الكريم ، ص٢٦٥

٢:الرَّازي ،تفسير الكتاب ،ج٢٨ ص ١٤٧

٣: مرجع نفسه ، ص١٤٨ .

وكانت تللك مواضع ورود حروف القسم في القرآن الكريم ، وإحصاء لوقوع القسم بأمور لا تتعدى خمسة أمور وأصول لا تتعد كذلك خمسة أصول وقد كان ذلك محط اختلاف بين المفسرين والنحويين حول اسناد الحروف من مثل(ص) (وحم) والم....)على أنَّها من حروف القسم وهذا ما جاء به فخر الدين الرَّازي في كتابه التفسير الكبير دونا عن غيره.

2_3 : أنواعه(القسم الصريح):

اختلفت الإحصائيات للقسم الصريح من حيث الكم والموضع ؛حيث حدد في حوالي المئة (١)،و امَّا كاظم الرّاوي يحددها بخمس وسبعون (٧٥) موضعا ؛منها سبعٌ وخمسون آية مكية(٥٧)،وثمانية عشرة(١٨) آية مدنية(٢)،كما صنَّف كاظم الرَّاوي مواضع القسم الصريح في القرآن الكريم الى خمسة مواضع:

١_أقسام صدرت من الله تعالى: ابتداء وانتهاء، وقد ورد ذلك في احدى وثلاثين آية مكية (٣) وآية مدنية(٤)، ولكنه عد مثلا في سورة الشمس آيات القسم كلها موضعا واحد ،على الرغم من وجود أكثر من آية قسم سبع آيات قسم_ الَّا أنَّها عُدت موضعا واحدا.

ولعلَّ هذا ما يُبرر اختلاف الدراسة الإحصائية حول عدد ورود القسم في القرآن الذي أشرنا إليه في البداية.

٢_أقسام علَّمها الله سبحانه رسوله، وأمره بها، وقد ورد ذلك في آيتين مكيتين (٥) وآية مدنية(٦).

١: عبد الجليل ، لغة القرآن الكريم ، ص ٢٦٥ .

٢:كاظم فتحي الرَّاوي، أساليب القسم في اللغة العربية ،مطبعة جامعة المستنصرية،ط١،بغداد،١٩٩٧،ص٣٩.

٣:ينظر سورة: الحجر (٧٢،٩٢_٩٣) ، النحل (٥٦،٦٣) ، مريم(٦٨) ، يس(١_٢) ، الصافات (١_٤) ،ص(١_٢) ، الزخرف (١_٣)، الدخان(١_٢) ، ق(١_٢) ،الذاريات (١_٦،٧_٨، ٢٣) ، الطور(١_٧) ، النجم (١) ، القلم (١_٣) ،المدثر(٣٥) ، المرسلات (١_٧) ، النازعات (١_٧) ، البروج(١_٤) ، الطارق(١_٣،١١_١٤) ، الفجر(١_٤) ، البلد(٣)، الشمس(١_١٠) ، الليل(١_٤) ، الضحى(١_٣) ، التين(١_٤) ، العاديات(١_٦) ، العصر(١) .

٤ سورة: النساء ، (٦٥) .

٥:سورة يونس (٥٣)، سبأ(٣) .

٦:سورة التغابن (٧) .

٣:أقسام حكاها القرآن الكريم عن الأنبياء والمؤمنين: وقد ورد في سبع آيات مكية(١) ، وأربع آيات مدنية(٢) .

٤:أقسام حكاها القرآن عن المنافقين والكافرين: وقد ورد ذلك في ثلاثة عشر آية مكية(٣) ، واثني عشرة آية مدنية(٤).

٥:أقسام حكاها القرآن عن إبليس:(٥)وهي لم ترد الاَّ في ثلاث مواضع من القرآن الكريم وكانت كلها مقترنة بإبليس اللَّعين .

2_ 2_1/ القسم الصريح المقرون ب:

: القسم الصريح المقرون بأحرف القسم: ولكثرتها وعدم القدرة على حصر جميع الحروف في هذا المبحث ارتأينا أن نختار أحد الحروف ونخصها بهذه الدراسة الإحصائية وهو القسم الصريح الوارد من الله بعد واو القسم والذي سنخصه بالدراسة الدلالية فيما بعد وقد ورد في ثلاثة وعشرون موضعا(٦).

١:ينظر:الأنبياء(٥٧) ، القصص(١٧) ، الصافات(٥٦) ، يوسف(٩٥،٩١،٨٥،٧٣).

٢:المائدة ، ١٠٨ ، ١٠٨ ، النور٦ ،٨ .

٣:الانعام(١٠٨،٣٠،٢٣)، الأعراف(٤٩،٢١،١٦)، ابراهيم(٤٤)، النحل(٣٨)، الشعراء(٩٧،٤٤)، الحجر(٢٩)، النمل(٤٩)، الروم(٥٥)، فاطر(٤٣)، ص(٨٣)، الأحقاف(٣٤)، القلم(١٨).

٤:النساء(٦٢)، المائدة(٥٣)، التوبة(١١٧،٩٦،٩٥،٧٤،٦٢،٥٦،٤٢)، المجادلة(١٨،١٤،النور(٥٣).

٥:سورة ص(٨٣)، الأعراف(٢١،١٦)، الحجر(٢١).

٦:ينظر:يس(١_٢)، ص(١_٢)، الزخرف(١_٣)، الدُّخان(١_٢)، ق(١_٣)، الذَّاريات(١_٦،٧_٨)،الطور(١_٧)، النجم(١_٢)، القلم(١_٢)، المدّثر(٣٢_٣٥)، المرسلات(١_٧)، النازعات (١_٧)، البروج(١_٤)، الطارق(١_١١،٣_١٤)، الفجر(١_٥)، الشمس(١_٨)، الليل(١_٤)، الضحى(١_٣)، التين(١_٤)، العاديات(١_٦)، العصر(١).

2: القسم الصريح المقرون باسم الجلالة:

واخترنا القسم الصريح المقرون باسم الجلالة للدراسة، وذلك لأننا سنقتصر عليه في الدراسة فيما بعد ؛ وقد ورد في ٢١موضع وهي على ثلاثة أضرب _وفق ترتيب المصحف_:

1_1:القسم باسم الرب تعالى:

١_ القسم باسم الرب تعالى	
العدد	موضعها
جاء في ١٠ مواضع	١/قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء (٦٥)
	١٢/قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنعام آية(٣)
	٣/قال تعالى ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ يونس الآية(٥٣)
	٤/وقال ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الحجر آية(٩٢_٩٣)
	٥/كما قال ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾ مريم آية (٦٨)
	٦/قال سبحانه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾سبأ آية(٣)
	٧/قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأحقاف آية(٣٤)
	٨/كما قال أيضا ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الذاريات آية(٢٣)
	٩/وقال تعالى أيضا ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ التغابن آية(٧)
	١٠/ويقول في كتابه أيضا ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ المعارج آية(٤٠)

فهذه عشر آيات من الكتاب العزيز التي ذكر فيه لفظة(ربي) مقرون بالقسم رغم اختلاف المقسم والمقسم به ، فتارة تكون من الله عزَّ وجل وتارة على لسان أحد أنبياءه،

1_2:القسم باسم الجلالة :

٢ القسم باسم الجلالة	
العدد	الموضع
ورد في ١٠ مواضع أيضا	١/قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنعام (٢٣)
	٢/وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يوسف (٧٣)
	٣/قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ يوسف(٨٥)
	٤/قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يوسف(٩١)
	٥/وقال أيضا: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ يوسف (٩٥)
	٦/قال تعالى: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ النحل (٥٦)
	٧/وقال أيضا: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦٣﴾ ﴾ النحل (٦٣)
	٨/وقال :﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنبياء (٥٧)
	٩/وقال سُبحانه :﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ الشعراء (٩٧)
	١٠/وقال تعالى ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الصَّفات(٥٦)

ومن هذه المواضع العشر نلاحظ أن القسم باسم الجلالة قد وقع في المجمل مقرونا بحرف (التاء) ، وفي موضع واحد بحرف (الواو) (١).

نستنتج مما سبق أن حرف التاء لم يرد في القرآن الكريم كله الَّا في تسع(٩) مواضع فقط وكانت كلها مقرونة بلفظ الجلالة (الله) وهذا لأن التاء لا تصح إلّا بالتصاقها بلفظ الجلالة (الله) .

١:علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم _دراسة بلاغية_ ، مذكرة لنيل درجة الماستر في النقد والبلاغة ،جامعة أم القرى، المملكة العربية، ص١٦٥.

١_٣: القسم بعزة الله:

٣_القسم بعزة الله	
العدد	موضعها
وهي من صفات الله وردت في ٣ ثلاث مواضع مقترن بإبليس اللعين	في قوله تعالى:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سورة ص ٨٣ .
	وفي قوله :﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ سورة الأعراف ١٦.
	﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ الأعراف٢١ .
	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سورة الحجر٣٩

أمَّا القسم بعزَّة الله، يمكن أن نعتبر هذه المواضع الأربعة موضعا واحداً؛ ذلك لأنَّ هذه المواضع لم تختلف في المعنى ولم تختلف في أركان القسم ولم يتغير المقسم ولا المقسم به
هذه الدراسة الإحصائية التي حاولنا جاهدين أن نحصي فيها أكثر عدد ممكن من القسم في القرآن الكريم بمختلف صوره .

أركان القسم :

والملاحظ من هذه الأضرب الثلاث أن أركان القسم من مقسم ومقسم به، وصورة القسم تختلف رغم اشتراكها في نفس الضرب، وسنحاول ذكر أهم هذه الفروقات في كل ضرب .

١/ القسم بلفظة ربي :

الموضع	المقسم	المقسم له(ما خوطب به)	المقسم به(وهو لفظ ربي لكنه لم يأتي إلا مضافا)
الأول، الرابع و الخامس	قسم صادر من الله	قسم خوطب به الرَّسول صلى الله عليه وسلم	مضافا الى ضمير المخاطب (وربك)
الثامن و العاشر	قسم صادر من الله	خوطب به المؤمنون والكافرون.	مضاف الى بعض أسماء مخلوقاته(الأرض ...)
الثالث، السادس التاسع	قسم صادر من الرَّسول صلى الله عليه وسلم	قسم خوطب به الكافرون	مضاف الى ضمير المتكلم(وربي)
الثاني و السابع	قسم صادر من الكافرين يوم القيامة	قسم خوطب به الله سبحانه وتعالى.	ضمير المتكلم "المثنى" (وربنا)

نستنتج مما سبق أن القسم في هذا الضرب يشترك إلا في المقسم به وهو لفظ (ربي) في حد ذاته ويختلف في المضاف الى هذا اللفظ ، ويختلف في الركنين الآخرين المقسم ، والمقسم له.

٢/ القسم باسم الجلالة :

المقسم	المقسم له	المقسم به (لم يخرج عن صورتين)
صادر من الله(موضع سادس والسابع)	خوطب به الله (الموضع الأول)	ص١:اسم الجلالة مع الواو(والله)؛ وانفرد به الموضع الأول
صادر من ابراهيم عليه السلام(الموضع الثامن)	خوطب به الأنبياء(موضع الثالث والرابع، الخامس والسابع)	
صادر من إخوة يوسف(الموضع الثاني ، الثالث، الرابع، الخامس)	خوطب به القائمون على خزائن مصر(الموضع الثاني)	
صادر من العبد المؤمن في الجنة يوم القيامة(العاشر)	خاطب المشركون به أصنامهم يوم القيامة(موضع التاسع)	ص٢:اسم الجلالة مع (تالله)؛ وجاءت في الواضع التسع المتبقية
صادر من المشركين يوم القيامة(ا الموضع لأول والتاسع)	خوطب به المشركون (موضع السادس والثامن)	
	خاطب به المؤمن في الجنة قرينه الذي اطلع عليه في النَّار(موضع العاشر)	

ويجدر الإشارة أن القسم في هذا الضرب يختلف كل ركن من أركانه عن الآخر كل الاختلاف عن ما جاء في الضرب الأول، وهذا ما نلاحظه في هذا الجدول ، إذ نلحظ أن المقسم به كذلك يحتوي على صورتين رغم أنَّه نفس الضرب _اسم الجلالة_ .

1_الدراسة الدلالية للقسم في القرآن الكريم:

نظراً لضيق الوقت ،وسعة المدونة _القرآن الكريم_ بالأخص ، وعدم قدرتنا على حصرها في هذا المبحث ،فلا يمكن ان نقوم بدراسة كلية لأسلوب القسم الوارد في المصحف الشريف ، ولعدم القدرة على حصر هذا الأسلوب في جزء معين من المدونة للدراسة ،حاولنا الإلمام بكل جوانب هذا الأسلوب المتواجدة في المصحف رغم تشعب هذا الأسلوب في هذه المدونة، فاخترنا نماذج مختارة من الكتاب؛ ليمكننا هذا الاختيار من الإلمام بأسلوب القسم من جميع أنواعه وأساليبه ودلالاته .

وسنحاول الآن ربط أسلوب القسم بالمواضع التي ورد بها وما الدلالة التي يحققها كلٌ في موضعه والسبب من استعماله تعالى لها دونا عن غيرها وهذا الذي يجعل الكتاب معجز في نظمه فلم يأتي بلفظ إلَّا في مكانه المناسب ، والتناسب بين لفظة وأخرى، وبين آية وأخرى وبين سورة وأخرى، وهي من سمات القرآن الكريم (١) ، رغم أن هذا الأُسلوب كغيره من الأساليب التي كان للعرب السبق في الاستعمال إلاَّ أنَّه كان حجة عليهم .

وفي هذا الفصل سنحاول أن نقوم بدراسة دلالية للقسم ؛دراسة مفصلة في ثلاث مباحث : قسم بأسماء الله وصفاته ،وقسم بالقرآن الكريم وقسم بالمخلوقات وهي على النحو التالي :

1_1القسم بأسماء الله وصفاته:

وسنتخذ في هذا الضرب نماذج مختارة لآيات من القرآن الكريم تشتمل على القسم الصريح أركانه ودلالاته ؛واخترنا في هذا الضرب آيتان من سورتي النساء والمائدة وبالحديث عن لفظ الجلالة اخترنا سورة يوسف لوروده فيها بكثرة:

١/سورة النساء الآية(٦٢):

﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ **يَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ** إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾

فإذا قمنا بتحليل هذه الآية نجد أركان القسم على النحو الآتي:

فعل القسم	المُقسم	حرف القسم	المقسم به	المقسم عليه
يحلفون	هم	الباء	الله	إن أردنا إلاّ إحسانا وتوفيقا

الملاحظ في هذه السورة أن المُقسم هو ضمير جماعة الغائبين (هم) موجود في الآية (٦١) الذي يعود على المنافقين.

١:السيوطي ، الاتقان ،ج٢،ص١٠٨ .

أما عن سبب نزول هذه الآية؛ فيقول الشعراوي :"نزلت هذه الآية في قضية منافق اسمه "بشر" ، حدث خلاف بينه وبين يهودي ، وأراد اليهودي أن يتحاكم الى الرسول ، وأراد المنافق أن يتحاكم الى "كعب بن الأشرف" ، وكان اليهودي واثق أن الحق له ولم يطلب التحاكم الى النبي ليس حبا فيه وانَّما حبا في عدله".(١)

ويقول الرازي:" إن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان أهل الجاهلية يتحاكمون اليه"، وقال أيضا :"نزلت في جماعة من المنافقين ممَّن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا الى حكام الجاهلية".(٢)

يتفق العلماء في أن سبب نزول هذه الآية هو بعض المنافقين اللذين أرادوا أن يتحاكموا عند جماعة الكفار ولم يقبلوا بان يتحاكموا عند الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فجاءت هذه الآية تذم كل من عدل عن الكتاب والسنَّة ولجأ لغيرهما، وبحسب سياق الآيتين بحسب المفسرين ، فإنهم لجئوا الى الحلف إلَّا بعد ان يُفضح أمرهم ويظهر كيدهم .

وقد جاء القسم في هذه الآية باستعمال فعل القسم "حلف" بالإضافة الى صيغة(بالله) ،مناسبا ذلك أن حرف القسم "الباء" هو الحرف الوحيد الذي يجوز ذكر الأفعال معها ، ولكن لاستعمال الفعل "حلف" دوناً عن غيره من الأفعال وذلك لضرورة يقتضيها السياق ، فهذا الفعل ينفرد عن غيره من الافعال _كما ذكرناه سابقا_ بزيادة معنى الكذب والحنث؛ فالحلف يدور حول الاحتمال والشك والتردد ، وبهذا يكون الحالف غالبا معرضا للحنث كثيرا ،بأنه حلف على الظن وليس على يقين".(٣)

ويجدر الاشارة الى أن لفظ الحلف لم يرد في القرآن الكريم إلا في خمسة مواضع ،اربع منها في سورة التوبة(٤) وكانت كلها صادرة من المنافقين بما فيها الآية التي نحن بصدد دراستها الآن.

١:الشعراوي(محمد متولي)،خواطر حول القرآن الكريم، مطابع أخبار اليوم التجارية، ط٢ ، ١٩٩١م،ج٤،ص٢٣٦٤.

٢:الرازي، مفاتيح الغيب،ج١٠،ص١٥٩.

٣:سامي عطا حسن ، أسلوب القسم في القرآن الكريم _بلاغته وأغراضه_ ، ص٧.

٤:ينظر سورة التوبة،(٤٢،٥٦،٦٢،٧٤).

وبما أن المقسم (هم المنافقون)فليس غريب أن تكون أقسامهم كاذبة، يقول الرَّازي في تفسيره لهذه الآية: "يجيئونك ويحلفون بالله كذبا على أنهم ما أرادوا بذلك الصد إلاَّ الاحسان والتوفيق "، كما يضيف في موضع آخر عن الآية نفسها :" يحلفون بالله على سبيل الكذب أنَّا ما أردنا بتلك الجناية إلا الخير والمصلحة ".(١)

وخلاصة القول أن هذه الآية ورد فيها القسم الصريح مستوفي جميع أركانه، ونخص بالذكر فعله "يحلفون" الذي جاء مختلفا عن غيره من الألفاظ إذ تخرج عن دلالته المعهودة الى دلالات اكثر فحوت ايضا على الحنث والكذب.

٢/سورة النساء الآية (٦٥):

﴿**فَلَا وَرَبِّكَ** لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾،وأركان القسم في هذه الآية من سورة النساء تختلف في الحرف ، فالآية الاولى من سورة النساء كان الحرف هو(الباء) وفي هذه الآية (الواو) كما أن القسم الصريح ورد في هذه الآية مسبوق بنفي(لا)، واسم الرّب مضافا الى ضمير المخاطب "ربُّك"_ وهو من الله تعالى الى رسوله الكريم_

المقسم	أداة النفي	حرف النفي	المقسم به	المقسم عليه(جواب القسم)
الله عز وجل	لا	الواو	ربَّك	لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجر بينهم

التفسير:

يقسم الله تعالى في هذه الآية بنفسه المقدسة أنَّه لا يؤمن أحد حتى يُحكَّم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور ،فما حكَّم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا؛ ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ،أي إذا حكَّموك يُطيعونك في بواطنهم فلا يجدون لأنفسهم حرجا فيما حكَّمت به وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيُسلِّمون لذلك تسليما كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ، كما ورد في الحديث" والذي نفسي بيدي ،لا يؤمنن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ".(٢)

١:الرازي،مرجع سابق ،ص١١٠ .

٢:ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٣٢٩ .

نجد في هذه الآية 'لا' النافية قبل القسم ،وقد استثار هذا التركيب اهتمام العلماء ولفتهم في التأمل في معانيه _ذلك أن القسم المسبوق ب'لام النفي' وردت في القرآن الكريم كله في ثمانية مواضع ،أما هذه الآية فقد انفردت عن المواضع السبع الأخرى ، فالمفروض أن يدخل بعدها فعل القسم كغيرها من المواضع، ومن بين ما قيل في تفسير وجود 'لا' في هذه الآية_ النساء ٦٥_ :

ذكر الزمخشري :"(فَلَا وَرَبِّكَ) فمعناه فوربك ، و 'لا' مزيدة لتأكيد معنى القسم "(١)، أما الشعراوي في كتابه "خواطر حول القرآن الكريم " ، فيذكر تفسيرا مغايرا فيقول :"... إنَّه سبحانه أقسم ﴿ فَلَا وَرَبُّكَ لا يؤْمِنُن حَتى يُحَكِّمُوك ﴾ ، ونعلم أن المنافقين ذهبوا فحكَّموا غير رسول الله، مع أنَّهم شاهدون بأنَّه رسول الله ، فكيف يعلمون بأنَّه رسول الله ثم يُحكمون غيره ولا يرضون بقضائه ؟،وتلك قضية يحكم الحق فيها فيقول :لا، هذه لا تكون أبدا ، إذا "لا " النافية جاءت هنا لتنفي إيمانهم وشهادتهم أنَّهم رسول الله؛ لأنَّهم حكَّموا غيره ..."(٢)

ونجد القرطبي مؤيد لهذا التفسير فيقول_ نقلا عن الطبري_ :" وقال الطبري: قوله 'فلا' ردٌّ على ما تقدَّم ذكره ؛ تقديره فليس الأمر كما يزعمون أنَّهم آمنوا بما أنزل إليك ، ثم استأنف القسم بقوله تعالى ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وقال غيره إنَّما قدم 'لا' على القسم اهتماما بالنفي ، وإظهارا لقوته ، ثم كرره بعد القسم تأكيدا للتهم بالنفي".(٣)

أما الرازي فيُلخص ما تقدم من الأقوال فيقول :"لا في قوله 'فلا وربك' فيه قولان :الأول : معناه فوربك كما في قوله تعالى { فوَرَبِّكَ َلنسألنهُمَّ أَجْمَعِين} و 'لا' مزيدة لتأكيد معنى القسم ، والثاني :أنَّها مُفيدة ، وعلى هذا التقدير ، وعلى هذا التقدير ذكر الواحدي فيه وجهين : الأول أنَّه يُفيد نفي أمر سابق ، والتقدير : ليس كما يزعمون أنَّهم آمنوا وهم يُخالفون حكمك ، ثم استأنف القسم بقوله{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ}،والثاني أنَّها لتوكيد النفي الذي جاء فيما بعد ، لأنَّه إذا ذكر في أول الكلام وفي آخره كان أوكد وأحسن".(٤)

١:الزمخشري، الكشاف ، ج١، ص ٥٣٨.

٢:الشعراوي،خواطر حول القرآن الكريم،ج٤، ص(٢٣٧٤،٢٣٧٣).

٣:القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،ج٥، ص٢٦٦.

٤:الرازي ،مفاتيح الغيب،ج١٠،ص١٦٨.

أي أن آراء المفسرين للقسم في هذه الآية لا يخرج عن رأيين؛ فهو إما :جاء مسبوقا بلام النفي، لتفيد إما نفي أمر سابق ، أو توكيد نفي لاحق .

وإذا تأملنا القسم الآية نجدها تتسق مع الفكرة العامة للسياق الذي وردت فيه من ناحية المضمون فالله أقسم باسمه في هذه الآية ليؤكد أن الناس تحتكم عند الرَّسول صلى الله عليه وسلم ، والتسليم التام له ، لأنَّه وحي من الله ، ومنه فالقسم موافق للسياق ؛ وفيه يقول ابن القيم _في بيان المقسم عليه في هذا الموضع_ :" أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسما مؤكدا بالنَّفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يُحكموا رسوله في كل شجر بينهم في الأصول والفروع وأحكام الشرع و...، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج...".(١)

ولا نغفل أيضا أنَّ القسم في هذه الآية، جاء اسم الرب مضافا فيه الى ضمير المخاطب الذي يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فقد ورد بهذه الصيغة بالتحديد دونا عن غيرها من صيغ القسم الأخرى في هذا المقام .

كان المقسم عليه يؤكد على عدم ايمان أكثر الناس حتى يحكموا الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن حكمه من حكم الله تعالى _ اي وحي من الله كما ذكرنا_ جاء المقسم به مناسبا لمضمون المقسم عليه فربط بين اسم الرب المشرع ، وضمير الرسول صلى الله عليه وسلم ،كأن المقسم به جاء بهذه الصورة وعلى هذا النحو يُشير الى تلازم وثيق بين طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم _طاعة الرسول من طاعة الله_ ، فلا يمكن أن نقول عن المؤمن مؤمنا حتى يمتثل امتثالا لا حرج فيه لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فصورة المقسم به توثق العلاقة بين حكم الله وحكم الرسول صلى الله تعالى ، فالقسم في هذه الآية يؤكد على الفكرة التي يؤكدها السياق.

وفي إضافة اسم الرب تعالى الى الضمير _الرسول_ تعظيم له كما فسره المفسرون _وهو ما يتفق عليه البلاغيون ، أنّ الإضافة قد تكون لتحقير أو تعظيم (والتعظيم واضح في هذه الآية) ومنه فموضع القسم في هذه الآية موافق للسياق و للدلالة وكل ركن فيه له تناسب رهيب مع الدلالة وذلك دليل على مدى خصوصية اختيار الاسم المقسم به في هذا الموضع ، والصورة التي جاء فيها المضاف الى اسم الرب بصيغة تحمل في طياتها الكثير من المعاني بالرغم من بساطتها التي تلخصت في قوله "وربك" .

١:ابن القيم ، التبيان في أقسام القرآن، ص٢٧٠.

٣/سورة المائدة الآية (١٠٦_١٠٧):

قال الله تعالى في كتابه الحكيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ **فَيُقْسِمَانِ بِاللَّـهِ** إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّـهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ **فَيُقْسِمَانِ بِاللَّـهِ** لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ .

ويمكن توضيح أركان القسم في الآيتين على النحو التالي :

الركن / الآية	المقسِم	المقسم به	المقسم عليه	فعل القسم	حرف القسم
الآية(٦٥)	شاهدان حضرا موت صاحب الوصية	الله	ذكر الوصية كما هي دون تحريف	يقسمان	الباء
الآية(٦٧)	شاهدان من أهل الميت	الله	في حال كذب يمين الشاهدين الاوليين صدق يمينهما	يقسمان	الباء

نلاحظ أن القسم في كلتا الآيتين ورد صريحا بأركان متشابهة ؛ فقد اتفقا في حرف القسم(الباء)،فعل القسم(يقسمان)، والمُقسم به(اسم الجلالة _الله_) ، واختلفتا في المقسِم والمقسم عليه .

ففي الآية الأولى: المقسمان هما الشاهدان اللذان حضرا موت صاحب الوصية ، وأقسما على قول الوصية كما هي دون تحريفها نقصا أو زيادة .

أما الآية الثانية: فالمقسمان من اهل الميت يشهدان أنّ يمينهما أصدق _ وذلك في حالة كذب أو خيانة الشاهدين الأولين_ .

وقبل كل هذا يجب الحديث عن سبب نزول هذه الآيات ؛ فقد قيل أنَّها نزلت في آخر حياة الرسول :"روي أنَّه خرج 'بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص '، وكان من المهاجرين مع 'عُديّ بن أبي زيد ' و 'تميم بن اوس ' ، وكانا نصرانيين ،تجارا الى الشام ، فمرض (بُديل) فكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يُخبر به صاحبيه ، وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات ، ففتشا متاعه وأخذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذَّهب فغيَّباه ، فأصاب

أهل 'بديل' الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا ، فرفعوهما الى الرسول صلى الله عليه وسلم ".(١) فنزلت الآيتين في هذا الموقف .

تفسير الآيات:

يقول 'ابن عاشور' :"اسْتؤْنفت هذه الآية استئنافا ابتدائيا لشرع أحكام التَّوثق للوصية لأنَّها من جملة التشريعات التي تضمَّنتها هذه السورة تحقيقا لإكمال الدين ،واستقصاء لما قد يحتاج الى علمه المسلمون".(٢)

وفي قوله تعالى﴿ تحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ ، فالصلاة فسِّرت بأنَّها صلاة من صلوات المسلمين ؛ فسَّرها 'السُّدي عن ابن عباس' : يعني صلاة أهل دينهما _ الشاهدين_ (٣)، أما 'العوفي عن ابن عباس' _وغيره فسَّروه تفسيرا مغايرا_ : يعني بها صلاة العاصر{لأنَّه وقت اجتماع النَّاس ، وعن الحسن ، بعد صلاة العصر أو الظهر ، لأنَّ الناس يقعُدون للحكومة من بعدها }(٤) .

فاختلفت الآراء حول الصلاة بين صلاة العصر أو الظهر ولكن سبب ذكر الصلاة رغم اختلاف نوعها أو الديانة، فلا بُد من ان تكون بعد صلاة لأن الإنسان بعد الصلاة يكون أكثر صدقا ،فإذا فرغ من الصلاة يبقى فيه شيء من الخشوع والتأثر بالصلاة فتكون الوصية بعد الصلاة لضمان الأخذ بها دون تحريف أو كذب، كما عُرف عندهم قيامهم للمحاكمة بعد الصلاة.

وأما قوله سبحانه جلَّ شأْنه ﴿ تحْبِسُونَهُمَا ﴾؛ فمعناه : تُمسكونهما ولا تترُكونهما يُغادرنكما حتى يتحملا الوصية .(٥)

١:الزمخشري، الكشاف، ج١ ، ص٦٥٠

٢:محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج٦،ص٨٠.

٣: الزمخشري ، الكشاف ، ج١، ص٦٥٠.

٤:ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج٢ ، ص٦٧٢.

٥:ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٦،ص٨٥.

وقوله تعالى: ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ ،أي لا نعتاض عنه بقليل من المال الزائل حتى لو كان المقسم له أو المشهود له قريبا لنا ،﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّـهِ﴾ التي أمرنا بها ، فإن فعلنا شيئا من ذلك ، أي من تحريف الشهادة أو تبديلها أو تغييرها أو كتمها ، ﴿ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾(١).

يتبعها تعالى بقوله: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّـهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

ويكون معنى هذه الآية :"فان ظهر لنا بدليلٍ ما كذب الشاهدين اللذين حضرا موت صاحب الوصية كتحريفها او اخفاء بعض تفاصيلها ،فلنا ان نستدعي شاهدين من أولياء الميت فيقسمان بالله أن يمينهما أصدق وأن الشاهدين السابقين قد كذبا في الشهادة وأن هذا الاتهام بالكذب ليس افتراء ولكنه قائم على الحقيقة ".(٢)

ففي هذه الآيات يوجه الله عباده على إيفاء حق الناس و بالأخص في آخر حياته ، فلا بد له أن يوفي دينه ويعطي الناس حقهم ؛ وان كان مسافرا فلا بد من وصية يستوفي فيها حقه وحق ورثته ، ويوضح الله تعالى أنَّه لا بد له من شهادة اثنين على ذلك ، واشترط في الشاهدين العدل _الصدق_ .

٤/سورة يوسف:

اشتملت سورة يوسف على أربعة مواضع للقسم جاءت كلها بصيغة واحدة (تالله)،فكما جاءت بصيغة واحدة ، فقد وردت كذلك في نفس السورة من نفس المصدر ،محكية على لسان إخوة يوسف عليه السلام ، _وهذه الصيغة وردت كما ذكرنا آنفا في تسع مواضع في القرآن كله وحصرت في قسم بلفظ الجلالة(تالله)_ ،وسنورد هذه المواضع الأربعة بالترتيب الذي وردت به في السورة ونبدأُها بالموضع الأول وأركانه:

الموضع الأول:

قال الله تعالى:

﴿ قَالُوا تَاللَّـهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾،(يوسف_٧٣_)، وأركانها:

١: ابن كثير ،مرجع سابق ،ص٢٧٣.

٢:الشعراوي ، خواطر حول القرآن الكريم، ج٦،ص٦٧٢.

المقسم	المُقسم له	حرف القسم	المُقسم به	المُقسم عليه
إخوة يوسف	المؤذن ومن معه	التاء	الله(اسم الجلالة)	لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين

تفسير :

قالوا أنَّهم لا ينزلون على أحد ظُلما ،ولا يرعون زرع أحد، وأنَّهم جعلوا على أفواه ابلهم الأكِمَّة؛ لئلا تعيث في زروع النَّاس .ثم قال : ﴿ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾،يُروى أنّهم ردُّوا البضاعة التي كانت في رحالهم ،أي: فمن ردَّ ما وجد ؛ فكيف يكون سارقا ؟(١)

ورد هذا القسم في سياق المكيدة التي حاكها سيدنا يوسف بتوفيق من الله ، لاستبقاء أخيه بنيامين عنده بعد أن دسَّ الساقية في متاع أخيه ...(٢)،وعندما همَّ إخوة يوسف بالرحيل الى ديارهم نودوا أن يا أصحاب العير انتم سارقين.

فكما عرضنا في بحثنا هذا أن من خصائص حرف القسم التاء أنَّها تُفيد التعجب، فورد قسمهم بدهشة من اتهامهم بالسرقة، فهم لم يأتوا بدافع الافساد او السرقة، فتعجبوا مما اضيف اليهم ونفوا بقسمهم هذا أن تكون هذه الفعلة من سجاياهم.

أما عن القسم باسم الله فقد رجَّح 'الدكتور احمد اللهيب' كون القسم واقعا في قوله تعالى:﴿ قَالُوا تَاللَّـهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ لأن ذلك ما تجيزه الصناعة النحوية، ويُقرُّه المعنى. فأما من جهة الصناعة؛ فهي تقتضي أن تدخل (لقد) على الجواب إذا كان فعلا ماضيا مثبتا متصرفا ، وأما من حيث المعنى ، فإن القسم على المخاطبين عالمون بنزاهة المقسمين من الفساد والسرقة ، أبلغ في البراءة مما نُسب اليهم ، وألزم للمخاطبين بالقناعة والقبول، لأنهم ذكَّروهم بما يعلمونه عنهم من الأمانة وحسن المعاملة معهم قبل ادِّعاء السرقة (٣)

ومما زاد من قوة تأكيد المقسم عليه دخول لام التوكيد على (قد) لأنَّها تُفيد التوكيد كذلك، لأنَّها اذا دخلت على الفعل الماضي أفادت تحقق وقوعه.

١:القرطبي(أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي)،الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر ، ط١ ،٢٠٠٦م، ج١١،ص٤١١.

٢:ابن كثير، التفسير الكبير، ج٤، ص٣٩.

٣:مرجع نفسه،ص٢٨٣_٢٨٤.

الموضع الثاني:

الآية: ﴿قَالُوا تَاللَّـهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (يوسف_٨٥_)

أركان القسم فيها:

المُقسِم	المقسم به	حرف القسم	المقسم عليه	المقسم له
إخوة يوسف	الله	التاء	تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين	سيدنا يعقوب

في هذه الآية قسم آخر صادر من إخوة يوسف عليه السلام ،وموجه الى أبيهم يعقوب عليه السلام حين أسر عزيز مصر أخاهم بنيامين بتهمة السرقة.

يقول الشعراوي في هذه الآية :" لا تزال تذكر يوسف وما حدث له، حتى تُشرف على الهلاك ، والحرض كما نعلم المقبل على الهلاك ،أو يهلك بالفعل.(١) وأصل الحرض الفساد في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهرم، وفي معنى تفتأ (قال الكسائي فتأت وفتئت أفعل ذلك أي ما زلت وزعم الفراء أن لا مضمرة أي لا تفتأ) .(٢)، ويُضيف الزمخشري :" تفتأ أراد لا تفتأ ،فحذف حرف النفي لأنَّه لا يلتبس بالإثبات ، لأنه لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه.(٤)

فالآية الكريمة يجمل المفسرون على أنه الأصل فيها النفي _لا تفتأ_ لأنه لا يلتبس بالإثبات وأما الفراء فلا ضير عنده من ذكر اللَّام فلا فرق في ذكرها أو عدمها ، والمعنى المؤكد أن إخوة يوسف يخبرون أباهم أنّه مشرف على الهلاك جراء حزنه على يوسف وما حدث له.

يقول الرازي عن سبب حزن سيدنا يعقوب عن ابنه يوسف عليه السلام رغم أنهم أخبروه عن ابنه بنيامين وليس يوسف:" واعلم أنَّه لما ضاق صدره بسبب الكلام الذي سمعه من أبنائه في حق بنيامين عظَّم أسفه على يوسف عليه السلام ...، ولهذه الواقعة وجوه:

١:الشعراوي،خواطر حول القرآن الكريم،ج١١، ص٧٠٥٠ .

٢:القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص٢٤٩_٢٥٠ .

٣:الزمخشري، الكشاف ، ج٢ ، ص٣٣٩ .

الوجه الأول: أن الحزن الجديد يُقوي الحزن القديم الكامن ،والقدح إذا وقع على القدح كان أوجع.

الوجه الثاني: أن بنيامين ويوسف من أم واحدة، وكانت المشابهة بينهما في الصورة والصفة أكمل ، فكان يعقوب يتسلى برؤيته عن رؤية يوسف عليه السلام ، فلما وقع ما وقع زال ما يُوجب السلوة فعظم الألم والوجد .

الوجه الثالث: أن المصيبة في يوسف كانت أصل مصائبه التي ترتب عليها سائر المصائب والرزايا وكان الأسف عليه أسفا على الكل.

الوجه الرابع: أن المصائب الجديدة كانت أسبابها جارية مجرى الأمور التي يمكن معرفتها والبحث عنها. أمَّا واقعة يوسف عليه السلام ، فهو عليه السلام كان يعلم كذبهم في السبب الذي ذكروه ، وأما السبب الحقيقي فما كان معلوم له ، وأيضا أنه كان يعم أنهم في الحياة ، وأما يوسف فما كان يعلم إذا كان حي أو ميت، فلهذه الأسباب عظم وجده على مفارقته وقيت مصيبته على الجهل بحاله .(١)

وإذا تأملنا الآية نجد أن المقسم عليه فيها ليس فقط أن أبناء يعقوب يقسمون على أنه لا زال يذكر يوسف فحسب، بل يزيدون عليه النتيجة الحتمية التي سيؤول اليها اذا ظل على هذه الحال.

أما جواب القسم في هذه الآية "تفتأ تذكر يوسف" باعتبار ما بعده من الغاية ، لأن المقصود من هذا اليمين الاشفاق عليه بأنَّه صائر الى الهلاك بسب عدم تناسيه يوسف ، وليس المقصود أنَّه لا ينقطع عن تذَّكر يوسف .(٢)

والصيغة المختارة _تالله_ هنا تفيد الى جانب القسم معنى التعجب اقترنت بلفظ الجلالة وكانت قليلة الاستعمال، فسرت" بأنَّ المقسم عليه بالتاء يكون نادر الوقوع، لأنَّ الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه ومن ثم قلَّ استعمال التاء إلا مع اسم الجلالة لأن القسم باسم الجلالة أقوى قسم".(٣)

فمجيء التاء هنا أفادت تعجب إخوة يوسف من هلاك والدهم لأن انتظاره لرؤية ابنه مجددا مستحيلة لقناعتهم أنه لن ينجُ من ذلك الجُب الذي ألقوه فيه ، وهو تعجب كذلك من ذكر

١:الرازي، تفسير الكبير،ج١٨، ص١٩٦_١٩٧ .

٢:ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج١٣ن ص٤٤.

٣:مرجع سابق ،ص ١٩٧ .

أبيهم ليوسف ، إذ أن السياق يدعوه الى ذكر بنيامين ، كما أنَّ التاء تنقل حيرة ودهشة اخوتهم على ما آل اليه والدهم كل ما طال به العمر.

فكان القسم أسلوب تناسق فيه مع الدلالة ؛ فلمَّا كان القسم هنا على أمر غريب ،جاء التركيب اللغوي للقسم معبرة عن هذه الغرابة ذلك أنَّ:

الصيغة(تالله) ،أغرب الصيغ _والله، بالله_ ،والفعل(تفتأ) أغرب الصيغ ونادر الاستعمال من فعل كان وأخواته ،وختمها بأغرب لفظ دلَّ به على الهلاك (حرض).

ولو أن كلمة واحدة منها دخلت بين أرق الكلام وأسلسه لذهبت برونقه ،و لخرجت به عن سلاسته ورقته ،الى غرابة غريبة وخشونة موحشة ، ولكن القرآن جاء بها في هذا الاطار المحدود من النظم ومع ذلك فهي ماهي خفةً واتساقً وسلاسةً .(١)

ونخلص بذلك أن المعنى في هذه الآية كان يطغوا عليه الغرابة فجاء أسلوب القسم فيها مناسباً للغرض فكانت العناصر اللغوية موافقة للسياق.

الموضع الثالث:

الآية: ﴿قَالُوا تَاللَّـهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّـهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (يوسف _٩١_)

أركان القسم كانت على النحو التالي:

حرف القسم	المُقسِم	المقسم به	المقسم له	المقسم عليه
التاء	إخوة يوسف	الله	يوسف عليه السلام	لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين

وهذا قسم آخر ورد من إخوة يوسف، ولكن في هذه الآية وارد من إخوة يوسف ليوسف، بعد أن عرفوا أنَّه هو عزيز مصر ،وذلك واضح في الآية التي سبقتها _آية ٩٠_ ، جاء القسم هنا بصيغة (تالله) كسابقتيها وكانت التاء كما ذكرنا تحمل إضافة الى القسم معنى آخر(التعجب)، كما نلاحظ إضافة الى القسم وجود مؤكدات أخرى في هذه الآية؛ وهي " اللَّام وقد " في قوله {لقد آثرك ... }و "إن المخففة ودخول اللام على خبرها "في قولهم، {وإن كنا لخطائين}.

١: عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم ،ص٢٩٠ .

وأما عن استعمالها :(فإنَّ المؤكدات لا تتعاضد على هذا النحو إلَّا إذا كان الكلام في سياق اثباتها قضية يُنكرها المخاطب، أو يلوحه من حاله ما يدعوا الى التأكيد، وإن لم يكن مذكرا لها والقضية التي يُراد اثباتها هنا ليست مما يحتاج تأكيده عند المخاطب لأن يوسف _عليه السلام_ أعلم بما أتاه الله من فضل ،ثم هو أكثر علماً بالحكم بكونهم خاطئين).(١)

وصيغة اليمين مستعملة في لازمة الفائدة، وهي علمهم ويقينهم بأن ما ناله هو تفضيل من الله وأنَّهم عرفوا مرتبته، وليس المقصود إفادة تحصيل ذلك لأن يوسف _عليه السلام_ يعلمه.(٢)

إنّ تأملنا هذه الآيات لوجدنا أن المؤكدات في هذه الآية جاءت(لتأكيد ما تضمَّنه المقسم عليه ممن الاعتراف بالذنب والندم عليه، وهي معاني تحركت في نفوس المُقسمين في تلك اللحظة، التي تجلى لهم فيها كثيرا مما آثر الله به يوسف عليه السلام ، وتجلى لهم فيها مقدار ما ارتكبوه من ذنوب ؛ فجاءت هذه المؤكدات معبرة عن هذه المعاني ومبينة عمقها في تلك النفوس كما أن لهذه المؤكدات قيمة لتصوير تلك المعاني كما هي في نفوس المتكلمين ؛ وذلك أنَّهم في هذا المقام قد أدركوا من إيثار الله تعالى الى يوسف ما لم يُدركوه من قبل ، فجرى في كلامهم الافصاح عنه في أقوى صور التوكيد ، كما أقروا بكونهم مذنبين في صورة مؤكدة أيضا؛ لأنَّهم لم يشعروا ببشاعة جرمهم كما شعروا به في تلك اللحظة .(٣)

فالإخوة هنا يُقسمون ليوسف على أنَّه الله فضَّله عليهم ،ويُقرون كذلك ، إضافة الى ذلك على أنَّهم كان خاطئين ومذنبين في حقه.

ولا يمكن أن لا نذكر هذه الآية ولا نتطرق الى الحديث عن الفرق بين اللفظتين :"خاطئين ومخطئين":

يقول فيها الشعراوي :"المادة واحدة هي: (الخاء) و (الطاء) و(الهمزة) ،و لكن المعنى يختلف

فالخاطئ هو من يعلم منطقة الصواب ويتعداها ،أما المُخطئ فهو من لم يذهب الى الصواب

١:مرجع نفسه، ص٢٩٩ _٣٠٠ .

٢:ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج١٣، ص٥٠ .

٣:مرجع سابق،ص٣٠٠ .

لأنّه لا يعرف مكانه أو طريقه اليه".(١)

وهذا يُفسر سبب استعماله تعالى للفظ (خاطئين) ، دون اللفظ الآخر ذلك لأن الواضح من سياق قصة سيدنا يوسف عليه السلام أنَّ اخوته كانوا على علم بالصواب ، ولكنَّهم اختاروا أن يسلكوا طريق الخطأ، كما أنّ في قولهم :" وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ" ، تعجُبا واستنكارا ، لما صدر منهم زمن جهلهم وطيشهم كما وأنّهم يقولون: كيف لهم أن يرموا بأخيهم في غياهب الجُب ، كيف لهم أن يفعلوا مثل هذا الأمر المروع مع أخيهم ، وهم ليسوا كسائر الخلق بل هم أبناء نبي الله .

الموضع الرابع:

الآية: ﴿ قَالُوا تَاللَّـهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾، يوسف _٩٥_ .

وأركان القسم في هذه الآية كالتالي:

المقسم	المقسم به	المقسم له	المقسم عليه	حرف القسم
أبناء يعقوب وأهله	لفظ الجلالة الله	يعقوب عليه السلام	إنَّك لفي ظلال مبين	التاء

المُخاطب في هذا المقام هو سيدنا يعقوب عليه السلام: "وقيل إنّ الذي قال له ذلك من بقي معه من ولده... ،وقيل: قال له ذلك من كان معه من أهل قرابته ، وقيل: بنوا بنيه وكانوا صغارا فالله أعلم.(٢)، والأقرب كونه من مقول إخوة يوسف عليه السلام، فهم مُهيؤون لمثل هذا القول كما هو واضح من سياق القصة وترتب أحداثها .(٣)

وصيغة القسم (تالله) الواردة هنا لا تختلف عن سابقتها في هذه السورة ،واقتضت الضرورة في هذه الآية كسابقتها، ورودها اضافة للقسم على أكثر من توكيد، أولها تأكيد المقسم عليه "إنَّ" واللام الداخلة على خبرها _في قوله إنَّك لفي ظلالك_ وذلك للضرورة التي يقتضيها السياق.

كما أن (للتاء) خصوصية في هذا الموضع إذ انَّها دلَّت أيضا على افتتاحها لخطاب فيه نوع من

١:الشعراوي،خواطر حول القرآن الكريم،ج١١،ص٧٠٦٤.

٢:القرطبي الجامع لأحكام القرآن،ج٩،ص٢٦١ .

٣:حسن الحارثي، أسلوب القسم ، مجلد٢،ص٢٦٧ .

الخشونة(١)،حيث قال بعض المفسرين إنَّ هذا عقوق (٢)،حيث أظهر المتكلمون العديد من الانفعالات كالضجر والغضب من الذكر المتكرر ليوسف، وهذا دليل على أن لتاء القسم خصائص تتعدى التعجب.

ففي هذه الآية يُقسم أبناء يعقوب لأبيهم، بأنه في ظلاله القديم، يُفسر ابن عاشور الظلال فيقول :" البعد عن الطريق الموصلة ، والظرفية مجاز في قوة الاتصاف والتلبس، وأنَّه كتلبُس المظروف بالظرف. والمعنى أنَّك مستمر على التلبس بتطلب شيء من غير طريقه ،أرادوا طمعه في لقاء يوسف عليه السلام ".(٣) أمَّا الشعراوي فيُفسره تفسيرا مغايرا فيقول:" الظلال هنا يعني شدة الانشغال بالمحبوب وكثرة السؤال عنه والبحث المتلاحق وهم لا يعنون الظلال بمعنى الخروج عن المنهج ، ولكنهم يعنون محبته الشديدة ليوسف وتعلقه به ،والتمني لعودته ، وكثرة الحديث عنه، وتوقع لقائه ".(٤)

وقد وصفوا الظلال هنا بالقديم لطول مدته ، وكانت مدَّة غياب يوسف عن أبيه _رضي الله عنهما_ اثنتين وعشرين سنة.(٥)

فالظلال هنا هو كثرة الانشغال بطلب الشيء وملاحقته له ولربما يستحيل الوصول لهذا المحبوب بل وينتج عن هذا التلبس بعد عن الطريق الموصلة، فالظلال هنا فيه ثلاث أقوال _دلالات_ أوَّلها الخطأ، والثاني الجنون أما الثالث فهو الشقاء والعناء .

كان هذا آخر موضع في هذه الدراسة من هذا المبحث ، والذي حاولنا فيه عرض نماذج عن القسم بالله وأسمائه وصفاته ، ويأتي الآن مبحث الثاني نتناول فيه دراسة الأقسام التي وردت بأسماء القرآن الكريم .

١:ابن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير، ج١٣،ص٥٣.

٢:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٩،ص٣١١.

٣:مرجع سابق،ص٥٣.

٤:الشعراوي ، خواطر حول القرآن الكريم،ج١١،ص٧٠٧٠.

2_1 القسم بأسماء القرآن الكريم:

سنورد في هذا المبحث آيات ورد فيها القسم بأسماء القرآن الكريم المختلفة كالكتاب الحكيم في

١/سورة يس : قال تعالى : ﴿يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾﴾.

أركان القسم في هذه الآية نوجزها في هذا الجدول كالتالي:

المُقسِم	المقسم به	المقسم له	المقسم عليه	حرف القسم
الله	القرآن الحكيم	الرسول صلى الله عليه وسلم	إنَّك لمن المرسلين على صراط المستقيم	الواو

قال 'ابن عباس' عن سبب النزول :" قالت كُفار قريش لست مرسلا وما أرسلك الله إلينا؛ فأقسم الله بالقرآن المحكم أنَّ محمد من المرسلين" ،وقال النّقاش :"لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له، وفيه من تعظيمه وتمجيده ما فيه".(١)، فأقسم سبحانه بكتابه على صدق رسوله وصحة نبوته رسالته، فتأمَّل قدر المُقسم والمُقسم عليه.(٢)

فسبب نزول هذه الآية ،أنّه لما كذّبت قريش نبوة رسولنا الكريم ،أقسم الله جلّ شأنُه بالقرآن الحكيم أنّه رسول الله ، ولم يُقسم لغيره من الأنبياء وذلك دالٌ على عظمته وعزَّته.

جاء المقسم به في هذه الآية(القرآن) موصوفا بالحكيم ،فقيل في تفسير هذه الصفة: المُحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه.(٣)، ويقول الزمخشري: ذي الحكمة، أو لأنَّه دليل ناطق بالحكمة أو لأنَّه كلام حكيم فوُصف بصفة المتكلم به.(٤)

وصف الله كتابه بالحكيم الذي لا يأتي بالباطل وأنَّ الكلام الذي ورد فيه جاء من صاحب الحكمة وهي اسم من أسمائه _الحكيم_ تعالى، فوصف القرآن بصفة المتكلم به.

١:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج١٥، ص٦ .

٢:ابن القيم ،التبيان في أقسام القرآن،ص٣٥٦

٣:ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم،ج٥،ص٦٠٠.

٤:الزمخشري , الكشاف،ج٣،ص٣١٤.

كما نلاحظ ورود مؤكدات أُخرى الى جانب القسم في هذه الآية تتمثل في (إن واللَّام) وكان الغرض من هذه المؤكدات إلَّا لزيادة إثبات الأمر المقسم عليه وبيان لصحته ،ألا وهو كون سيدنا محمد رسول الله .

وهذا الجواب المعزز بهذا القدر من التأكيد هو ردّ قاطع على أولئك المشركين اللذين أنكروا رسالته صلى الله عليه وسلم _كما ذكرنا سابقا في نزول الآية_ وهو أيضا تأييد للنبي عليه السلام، ضدَّهم وضد موقفهم ،المنكر لرسالته كما جاء في تفسير الجلالين(جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي):" التأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: لست مرسلا "(١).

٢/سورة ص:

يقول سبحانه في الآية الأولى من السورة : ﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ ،وأركان القسم في هذه الآية كسابقاتها مع غياب ركن (المُقسم له):

المقسم	المقسم به	المقسم عليه	حرف القسم
الله عزَّ وجل	القرآن ذي الذكر	بل الذين كفروا في عزَّة وشقاق	الواو

اختلف العلماء في تفسير استئناف حرف الصاد في أول السورة ،فقال الزَّمخشري :" ذُكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز كما مرَّ في أول الكتاب(١)،كما قال الضَّحاك :"معناه صدق الله وعنه أن{ص} قسم أقسم الله به وهو من أسمائه تعالى، وقال قتادة: هو اسم من أسماء الرَّحمان ،وعنه انَّه اسم من أسماء القرآن (٢).كما قال الفراء: إنَّه في معناه كقولك وجب والله ، ونزل والله ،وحق والله، وأنَّها جواب لقوله "والقرآن" كما تقول: نزل والله.(٣)، والرازي يقول:" الحروف تنبيهات قُدمت على القرآن ، ليبقى السامع مقبلا لاستماع ما يرد عليه ، فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق ،أما الرازي فيعدُّها قسما وذلك قليل عند المفسرين فيقول:"... أن هذه الحروف مُقسم بها وذلك أن الله تعالى لمَّا أقسم بالتين، كان تشريفا لهما ،فلماً أقسم بالحروف التي هي أصل الكلام الشريف الذي هو

١:السوطي والمحلي، تفسير الجلالين،ص٤٤٠.

٢:القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،ج١٥،ص١٤٢.

٣:الفراء، معاني القرآن،ج٢،ص٣٩٦.

دليل المعرفة ،وآلة التعريف كان أولى".(١)

أي ان ورود هذا الحرف {ص} هو للدلالة على صدقه تعالى فهو عند هؤلاء اسم من اسماء الرَّحمان يعني صدق، وجب ،أو حق والله.

أما في قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ أقسم بالقرآن تنبيها على جلال قدره ؛لأن فيه بيان كل شيء، وشفاء لما في الصدور ،ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم (٢).

وقوله: ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي ذي البيان، أو ذي الشرف أو ذي الشأْن والمكانة ، أو كما قيل في تفسيرها :أو هو المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد(٣).

أي ذو المنفعة، المفيد لهم في الدنيا والآخرة ، وله شأن عظيم ومكانة أعظم فهو معجزة الرَّسول صلى الله عليه وسلم .

وفي قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾،أي في إظهار خلاف ومباينة ، ومعنى ذلك أن في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر ، وإنَّما لم ينتفع به الكافرون لأنّهم في عزَّة ،أي استكبار عنه وشقاق بمعنى أي مخالفة له ومفارقة(٤).

فهذا القسم بكتاب الله هو قسم صادر من الله تعالى، للكفار المعادين للرسول صلى الله عليه وسلم والمستكبرين عن الحق ، والرافضين تعاليم الدين الجديد ، ومحاربتهم للرسالة المحمدية.

بالحديث عن أركان القسم في هذه الآية نرى اختلاف المفسرين والعلماء في تحديد المحذوف _جواب القسم أو المقسم له_ ؛إذ ذهب بعضهم الى أن الجواب محذوف تقديره يُفهم من السياق ومن أصحاب هذا الرأي "الزَّمخشري"، إذ يرى أن التقدير هنا هو "إنه لكلام معجز" ويُستدل عليه بتقدم حرف الصاد فيقول:" ذُكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التَّحدي والتنبيه على الاعجاز كما مرّ في أول الكلام ، ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي

١:الرازي، مفاتيح الغيب ،ج٢٨،ص٢.

٢:القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،ج١٥،ص١٤٥.

٣:ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج٦، ص٤٤.

٤:مرجع سابق، (ص، ن).

عليه كأنَّه قال: والقرآن ذي الذكر إنَّه لكلام مُعجز".(١)

وذهب فريق آخر أن الجواب هو الآيات التي جاءت بعدها، وهذا الرأي لقى انتقادات ذلك بسبب تأخر الجواب كثيرا عن القسم ،فجاء في تفسير الفرَّاء :" وذلك كُلَّما تأخر تأخُرا كثيرا عن قوله (والقرآن) وجرت بينهما القصص مختلفة ،فلا نجد ذلك مستقيما في العربية والله أعلم "(٢)

وفي تحليلنا لهذه الأركان نجد أن المقسم عليه نقيض كامل للمقسم به؛ فلما كانت الآية تشريف وتقدير للمقسم به ودليل على رفعته ، جاء المقسم عليه نقيضة له ،إذ أظهرت تحقيرا للمشركين وموقفهم المعارض للحق، فشتان بين ما يدل عليه المقسم به من رفعة وتقدير، وبين ما يُفضي إليه المقسم عليه من تحقير و جحود .

وبالحديث عن الحرف المتقطع في هذه الآية _ص_ فهي شبيهة بالآية التي سبقتها من سورة يس ،فالقسم في كلتا السورتين جاء مسبوقا بحروف متقطعة ، واتّفقا في كلا الموضعين على السياق الذي وردا فيه _تكذيب المشركين لمحمد ورسالته_ ،واتفقا في المقسم به _القرآن مع اختلاف الصفة_.

٣/سورة الزُّخرف:

قال تعالى في الآيات الأولى من سورة الزُّخرف: ﴿حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ،وأركان القسم فيها هي :

حرف القسم	المقسم	المقسم به	المقسم عليه
الواو	الله	الكتاب المبين	أنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون

الكتاب المبين: المُبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الظلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة(٣)

١:الزمخشري ، الكشاف،ج٣،ص٣٥٩.

٢:الفرَّاء ، معاني القرآن،ج٢،ص٣٩٧.

٣:مرجع سابق،ص٤٧٧.

هذه السورة افتتحت كسابقاتها بحروف متقطعة(يس)،(ص)وفي هذه الآية (حم)،وقد قيل فيها أيضا أنَّها قسم ، والكتاب المبين قسم ثانٍ، وأن جواب القسم تقدَّم كما في قولنا نزل والله(١)، و الزمخشري يرى:" أُقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} جوابا للقسم (٢).

فالقر آن الكريم والقرآن العربي لفظان لمعنى واحد ، فالمعاني التي يحملها لفظ(المبين) تحيل الى القرآن الكريم ؛فهو كتاب بيِّن في نفسه مُبين للناس .

المقسم به هو الكتاب المبين والمقسم عليه قرآنا عربيا، فهذا الموضع رغم اشتراكه مع الآية السابقة في التصدر بحرف القسم فهو يُخالفها في العلاقة بين المقسم به/عليه ؛ ففي الآية الأولى المقسم به نقيض للمقسم عليه، أما في هذه الآية فالوضع مختلف لأن العلاقة بينهما علاقة تناسب وطيد، ولهذا التناسب قيمة في تأكيد ما يرمي القسم اثباته لعظمة القرآن الكريم في مواجهة من لم يؤمنوا به، فكلاهما يصُبان في المضمون نفسه الذي اتفقا في الدلالة عليه.

٤/سورة ق:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾.

أركان القسم:

المقسم	المقسم به	المقسم عليه	حرف القسم
الله	القرآن العجيب	بل عجبوا أن جاءهم مُنذر منهم فقال الكافرون هذا الشيء عجيب	الواو

اختلف المفسرون في وضع حد لهذا الحرف _وقد جاء كغيره من الآيات السابقة في هذا المبحث مُستهل بحرف من الحروف المتقطعة_ فقال ابن كثير:" هو جبل محيط بكل الأرض

١:القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن،ج١٦،ص٦١.

٢:الزمخشري،الكشاف،ج٣، ص٤٧٧.

يُقال له جبل قاف ... وقيل المراد قُضي الأمر والله(١)، وقال ابن العباس :اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ... وهو اسم من أسماء القرآن(٢). أما {القرآن المجيد} يعني الكريم العظيم (٣)، ورفيع القدر(٤).

أما قولنا المجيد هو العظيم، لأن القرآن عظيم الفائدة ، ولأنه ذِكر الله العظيم ، وذكر العظيم عظيم...،أما قولنا المجيد هو كثير الكرم فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجده ، وإنه مغن كل من لاذ به ، وإغناء المحتاج غاية الكرم .(٥)

فربط القرآن بصفة المجيد ذلك أنه جاء من عند العظيم وذلك لما غيه من فائدة وملازم للمحتاج والمحتار، في كل زمان ومكان فلا تناسب غيره هذه الصفة.

وإذا تأملنا السورتين _ق /ص_ لوجدنا تشابه كبير بينهما وهذا ما يلحظُه المفسرون؛ فيقول الرازي لما وجده من تشابه بينهما: "هذه السورة وسورة {ص}تشتركان في افتتاح أولهما بالحروف ، والقسم بالقرآن ،وقوله (بل) ، والتعجب ، ويشتركان في شيء آخر أن أولهما وآخرهما متناسبان.(٦)

فكما لاحظنا وجود تشابه بين السورتين من حيث افتتاحهما بحرف متقطع ،وتشابه في المقسم وحرف القسم ، والمقسم به، فقد اختلف المفسرون في تحديد جواب القسم (أو ما يسمى بالمقسم عليه) كما هو الحال مع سورة{ص} فذهبوا في هذا الاختلاف الى ثلاث آراء:

الرأي الاول: الجواب محذوف ،و مُقدر دلَّ عليه السياق، ومِمَن قالوا بهذا الرأي "الأخفش ، ابن القيم، والفراء، فيقول هذا الأخير وقد استدل على ذلك من الآية الثالثة من السورة{أَإِذا مِتْناَ وَ كُنَّا تُرَابا} ولهذا قال :"... ولكن معناه مضمر، إنَّما كان _والله أعلم_:{ق والقرآن المجيد لَتَبْعَثُنَّ بعد

١:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج٦،ص٣٩٥_٣٩٦.

٢:القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،ج١٧،ص٢.

٣:ابن كثير ،مرجع سابق، ص ٣٩٦.

٤:القرطبي ،مرجع سابق ،ص ن.

٥:الرازي،تفسير الكبير،ج٢٨،ص١٤٨.

٦:مرجع نفسه ،ص١٤٥.

الموت"(١).

ويقول ابن القيم فيه:" وههنا قد اتحد المُقسم به والمقسم عليه وهو القرآن ، فأقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه، وأنَّه حق من عنده . ولذلك حذف الجواب ولم يُصرح به ، ولما في القسم من الدلالة عليه أو لأن المقصود نفس المقسم به كما تقدم أدناه.(٢)

فابن القيم يقول بحذف المقسم عليه لأن المقسم به يُعوضه وذلك لتشابههما _القرآن_، فهو يدل عليه.

الرأي الثاني: الجواب هو آيات جاء ذكرها فيما بعد ، وفي جواب القسم قد جاء في تفسير القرطبي نقلا:"... {قَدْ عَلِمْنَا مَا تُنْقُص الَأرْض مِنْهُمْ} على إرادة اللام، أي لقد علمنا، وقيل: هو {إنَّ في ذلك لَذِكرى} وهو اختيار الترمذي، وقال ابن كيسان :جوابه{مَا يَلْفظ من قَوْلٍ} ،وقال أهل الكوفة: جواب هذا القسم {بَلْ عَجِبُوا}.(٣)

وهذا الرأي قد لاق الكثير من الانتقادات ،وذلك لأن هذه الآيات قد تأخرت عن موضع القسم، _فكما علمنا_ فورود جواب القسم يكون بعد القسم مباشرة.

الرأي الثالث: الجواب مذكور قبل القسم {ق} والتي تعني قُضي الأمر والله (على قول الرازي ،جاء مقدما على القسم لدلالته الإعجازية)(٤)، وهذا الرأي نراه ضعيفا وذلك أن الأصل في القسم أن يتقدم على الجواب ،وأن معنى {ق} قُضي الأمر فهو ضعيف وقليل من قال به.

ومنه فالرأيين الأول والثالث مُستبعد فلا يمكن لجواب القسم أن يسبق القسم وهذا الأصل والرأي الثالث و نأخذ منه برأي اهل الكوفة ،ولا يتبقى لنا الرأي الثاني، فهو الأقرب وذلك نفس ما جاءت به سورة{ص} تماثل وتناسب بين المقسم به و المقسم عليه.

كانت هذه النماذج الأربعة لصيغ القسم بأسماء القرآن الكريم ، لننتقل بعدها الى آخر فصل في الدراسة الدلالية وهو القسم بالمخلوقات.

١:الفراء،معاني القرآن ، ج٣،ص٧٥.

٢:ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن،ص٣٥٥.

٣:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن/ج١٧،ص٣.

٤:أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنَّة النبوية، دار ابن الجوزى،ط١٤٢٦،١ه/٢٠٠٥م،ص٦٥٨.

1_3/القسم بالمخلوقات:

وهذا آخر مبحث في هذه الدراسة وهو القسم بالمخلوقات، فبالإضافة الى القسم بالقرآن والقسم بأسماء تعالى وصفاته، فقد أقسم تعالى بمخلوقاته ، فنجده يُقسم تارة بالنجم ومواقع النجم[سورة النجم، والواقعة(٧٥)]،والطارق، الفجر والعصر والليل(وقد ورد القسم بالليل في مواضع كثيرة)(١)،التين والزيتون، والعاديات...، وسنتناول في هذا المبحث آيتان للدراسة من سورتي الحجر والشُعراء :

١/سورة الشُعراء:

قال الله تعالى : ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ .

أركان القسم في هذه الآية هي :

المُقسم	المقسم به	المقسم عليه	حرف القسم
السحرة	عزّة فرعون	إنا لنحن الغالبون	الباء

يقول الزَّمخشري :"أقسموا بعزة فرعون وهي من الإيمان وهي من أيمان الجاهلية ،وهكذا كل حلف بغير الله".(٢)، ورود هذا القسم حسب رأي المفسرين لفت الانتباه لصورة من صور القسم في الجاهلية بغير الله، فجاء منسوبا للسحرة ليُؤكد على نهيه.

والمقسم به هو "عزَّة فرعون"، والعزَّة تعني عدم القهر وعدم الغلبة(٣)، فأقسم به السحرة تعظيما لفرعون فهم يعبدونه ويرونه لا يُقهر وليس له منازع.

حرف القسم كان الباء ، وجواب القسم "إنّا لنحن الغالبون" يدل على ثقة المُقسمين ويقينهم بغلبتهم ، وذلك بإضافة أساليب توكيد الى جانب القسم ؛ فجواب القسم جاء جملة اسمية مبدوءة بإنَّ المُشددة ،ولام مقرونة باسمها "لنحن" ،وجاء خبرها مُعرفا بال التعريف "الغالبون" وذلك للدلالة على الغلبة واختصاصهم بها وتفردهم .

١:يُنظر:المدثر(٣٣)، التكوير(١٧)، الانشقاق(١٧)، الفجر(٤)، الشمس(٤)، الليل(١)، الضحى(٢).

٢:الزمخشري ، الكشاف،ج٣،ص١١٢.

٣:الشعراوي،خواطر حول القرآن الكريم،ج١٧،ص١٠٧٥٦.

يقول البيضاوي: "أقسموا بعزَّته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم، ولإتيانهم بأقصى ما يُمكن أن يُؤتى بهم من السحر".(١)

أما بالحديث عن العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه ، فقد أقسموا بعزة فرعون التي لا تُقهر ولا تُغلب ، ولن يغلبهم موسى

وقد فسَّر آخرون سبب اختيار المقسم به ومجيئه على هذه الشاكلة في هذه الآية من الكتاب العزيز ،انَّه حجة على للإثبات صدق النبي موسى عليه السلام ،فقال الرازي :"فالمراد أنَّهم أظهروا ما يجري مجرى القطع على أنَّهم يغلبون ، وكل ذلك لمَّا ظهر كان أقوى لأمر موسى عليه السلام(٢).

فكان قسمهم بعزة فرعون وذلك لشدة قناعتهم بقوته وكانوا يرون غلبتهم لا نقاش فيه، ومع ذلك غلبهم موسى عليه السلام ، وهذا كان دليلا قويا على قوة وصدق موسى وما جاء به فما جاء به هو الحق ،والحق لا يكون الا الغالب لا المغلوب .

٢/سورة الحجر: وهذه الآية جيء القسم فيها بصيغة لم يسبق لنا في مبحثنا الحديث عنه أو التطرق له وذلك في قوله تعالى في الآية[٧٢] من سورة الحجر: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾. وأركان القسم فيها على النحو الآتي:

المقسم	المقسم به	المقسم له	المقسم عليه
الله عزَّوجل	عمر الرسول صلى الله عليه وسلم	الرسول صلى الله عليه وسلم	إنّه لفي سكرتهم يعمهون

المُقسم به عمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعنى العُمر: وحياتك وبقاؤك في الدُنيا وعيشك ؛والعَمر والعُمر(بفتح العين أو بضمِّها) لغتان معناهما واحد إلا أنَّهم خصُّوا القسم بالمفتوح لإثبات الأخف ،لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم (٣).

وجواب القسم{ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}والسَّكرة هي التخديرة العقلية التي تحدث لمن يختل

١:علي الحارثي ،أسلوب القسم في القرآن الكريم _دراسة بلاغية_ ،مج:٢،ص٥١٨.

٢:الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٤،ص١٣٤.

٣:ابن القيم ،التبيان في أقسام القرآن،ص٣٥٨.

إدراكهم (١).وقيل في سكرتهم: أي في ظلالتهم وقيل :أي في غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب(٢).

ورد القسم هنا في سياق ما جاء من قصة سيدنا لوط عليه السلام في سورة الحجر حين جاءت الملائكة للإهلاك قومه ؛وقد أجمع المفسرون أن القسم صادر من الله يُخاطب به رسوله، وذلك لغرض _اتفق عليه جماعة المفسرين_ تكريمه وبيان ارتفاع شأنه ومنزلته، يقول ابن كثير :"أقسم تعالى بحيات نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض(٣).

يُجمع المُفسرون أمثال الشعراوي ،الرازي والقرطبي والزَّجاج ابن القيم وغيرهم ،أنَّ القسم هنا صادر من الله تكريما الى رسوله، إلّا الزمخشري فكان تفسيره مغايرا إذ ورد عن ابن القيم قوله :"ولم يُوافق الزمخشري على ذلك ، فصرف القسم على أنه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة فقال :هو على لإرادة القول ،أي قالت الملائكة: لعمرك إنَّهم لفي سكرتهم يعمهون".(٤)

فهو يعارض الجميع ويفسر الآية بشاكلة مختلفة فيرى المقسم هم الملائكة ، والمقسم له لوط عليه السلام.

اجتمع في هذا القسم توكيدات [أن ولام] وذلك لتكريم نبيه وللتنبيه وتبيان مدى قبح ودناءة الكفار والمستوى الذي آل اليه الكفار ،وكل هذا يُحيلنا الى تبيان العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه هي علاقة تضاد

وذلك واضح من خلال الغرض ،يقول ابن القيم في الحديث عن الغرض من وراء هذا القسم _بعمر الرّسول_ :"عمر شريف عظيم أهل أن يقسم به ،لمزيته على كل عمر من أعمار بني آدم ، ولا ريب أن عمره وحياته صلى الله عليه وسلم من أعظم النعم والآيات فهو أهل أن يُقسم به ،

١:الشعراوي،خواطر حول القرآن الكريم،ج٣،ص٧٧٤٣.

٢:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤،ص١٤٨.

٣:مرجع نفسه.

٤:ابن القيم، التبيان،ص٣٥٨.

والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات ."[1]

ومنه فالقسم بعمر الرسول ليس فقط تعظيم له بل تعريض لما يقوم به قومهم فهم في سكرة عما يقومون به وما الذي سينتج عن هذا الفعل .فهذه مفارقة ومفاضلة يُعرف بها ما جاء به قومه وتفضيل وتكريم له.

ونخلص بالأخير أن العلاقة بين طرفي القسم من مقسم ومقسم به هي علاقة تضاد فكلما كان المقسم به رفيع القدر والشرف والقدر الكريم والخلق الرفيع ، كلَّما قابله المقسم عليه من انحطاط قومه وفضاعة فعله ومدى حقارتهم وتحليهم بالخلق السيء البذيء.

ولربما يُعد هذا درسا للأمة يُعلمنا التآخي والمشي على خُطى نبيّنا الكريم تدعونا للتحلي بالصدق والعفة والخلق الحميد .

وبهذا نكون قد أنْهينا بفضل الله ونعمته هذا المبحث الأخير من هذه الدراسة الدلالية للقسم في القرآن الكريم نماذج مُختلف لمُختلف صيغ القسم الواردة في القرآن الكريم، وسنورد في المبحث التالي أهم المواضع التي ورد فيها القسم محذوفا او منفياً باتباع الدراستين الاحصائية والدلالية

١:نفس المرجع،ص٣٥٨.

٢/ نفي القسم :

٢_١:الآيات الكريمة التي وردت فيها صيغة (لا أقسم) في القران الكريم:

وهي على وفق ترتيبها في المصحف الشريف، قال تعالى:

١ـ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾الواقعة

٢ـ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ الحاقة.

3ـ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ المعارج.

٤ـ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾القيامة.

٥ـ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾التكوير.

٦ـ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾الإنشقاق. /٧ـ لَا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾

أما ترتيب هذه الآيات الكريمة على وفق نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم، فعلى النحو الآتي:

١ـ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾التكوير.

٢ـ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾القيامة.

٣: لَا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾

٤ـ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾الواقعة

٥ـ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ الحاقة.

٦ـ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ المعارج

فنلاحظ أن صيغ نفي القسم جاءت في آيات المصحف الشريف و وفق نزولها على النبي

فمنها التي هي: منفية غير مقترنة بالفاء، و منها التي مقترنة بالفاء.

٢_٢:صيغ نفي القسم:

٢_٢ _ ١: صيغة (لا أقسم):

قال تعالى: لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾القيامة.

و الشاهد فيها هو "لا أقسم" وهو إدخال لا النافية صورة على فعل القسم، أي أنها للنفي لأن الصلة إنما تكون في وسط الكلام ووجهه أن إنشاء القسم يتضمن الإخبار عن تعظيم المقسم به، فهو نفي لذلك الخبر الضمني على سبيل الكناية و المراد أنه لا يعظم بالقسم لأنه في نفسه عظيم أقسم به أولا، و يترقى من هذا التعظيم إلى تأكيد المقسم عليه إذ المبالغة في تعظيم المقسم به، تتضمن المبالغة في تعظيم المقسم عليه. و النفي إنما أريد به لوضوح الأمر.

قال الفراء: لنفي كلام معهود قبل القسم ورده فكأنهم هنا أنكروا البعث فقيل: لا أرى الأمر كذلك ثم قيل: "أقسم بيوم القيامة". أي أن يوم القيامة حق و حقيقة و لا محال من إنكاره، والقيامة هي من الفعل قام، يقُوم، ويوم القيامة هو يوم الحساب .

وقوله تعالى أيضا :"ولا أقسم بالنفس اللوامة" ،هذه الآية الكريمة أيضا تتضمن نفي القسم و المراد ب أني لأقسم بيوم القيامة لشرفه، ولا أقسم بالنفس اللوامة لأفعالها السيئة، والنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها يوم القيامة على تقصيره في التقوى أي على فعل الخير، أي أنها النفس التي تندم على فعل الشر وأنها لم تستكثر فعل الخير.

والقسم بالنفس اللوامة يقطع النظر عن الصفة، والنفس من حيث هي شريفة لأنها الروح التي هي من العظيم سبحانه وتعالى وفيه أنه لا يظهر لذكر الوصف حينئذ فائدة. (١)

نتوصل إلى أن الغرض من هذه الآية هو التحقيق و التأكيد و إثبات أن يوم القيامة حق وحقيقة.

قال تعالى: لَا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾البلد.

هذا قسم من الله عزوجل بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالا لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها. (٢)

١:الألوسي البغدادي ،روح المعاني، دار إحياء التراث العربي،(د.ط)،بيروت، لبنان، (د.س)،ج٢٩،ص١٣٦.

٢:ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،تح :سامي بن محمد السلامة، دار طيبة،السعودية،الرياض،ط١٩٩٩،٢م،ج٨، ص٤٠٢.

"لا أقسم بهذا البلد " الحلف هنا واضح، لأن البيت مركز التوحيد ولعبادة الله سبحانه، وهو مطاف أنبياء الله العظام وأوليائه، فقد بلغ من المكانة مرتبة صلح أن يحلف به سبحانه،... فلو حلف بالبلد، فإنما لأجل احتضانه أشرف بيوت الله، و يزيد على شرفه أن النبي الخاتم قطين هذا البلد، ونزيله، فزاده شرفا على شرف، و الحل هو الساكن.

وهذا التفسير مبني على أن المراد من الحل هو نزول النبي صلى الله عليه و سلم بهذا البلد، ولكن يفسر بالمستحل، أي من استحلت حرمته و هتكت كرامته ،وعند ذلك ينقلب معنى الآية إلى شيء آخر، و يكون معناها هو: لا أقسم بهذا البلد المقدس حال أنك مهتوك الحرمة والكرامة، ويكون توبيخا وتقريعا لكفار قريش حيث إنهم يحترمون البلد،ولا يحترمون من حل فيه اشرف الخليقة.

وعلى ذلك فيكون "لا" في (لا أقسمُ) بمعنى النفي لا الزيادة، ولا بمعنى نفي شيء آخر على ما قدمناه في تفسير سورة الواقعة. (١)

{ وأنت حل بهذا البلد}، يعني بمكة، يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم: وأنت يا محمد حل بهذا البلد، يعني بمكة، يقول: أنت به حلال تصنع فيه من قتل من أردت قتله، وأسر من أردت أسره، مطلق ذلك لك. (٢)

٢_٢_٢: صيغة (لا أقسم) مقترنة بالفاء (فلا أقسم):

١ ـ قال الله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾الواقعة

المقسم	حرف نفي	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	المقسم عليه
الله عزوجل	لا	أقسم	الباء	مواقع النجوم	انه لقرآن كريم

يرد هذا القسم في أواخر سورة الواقعة، و هو قسم من الله تعالى بمواقع النجوم على ثبوت القرآن و على علو شأنه و عظم مكانته. وقد ورد هذا القسم متصدرا بصيغة النفي (لا أقسم)

١:جعفر السبحاني ،مفاهيم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م، ج٩، ص٤٤١ ـ ٤٤٢.

٢: طبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: عصام فارس حرثاني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٤م،ج٧،ص٥٢٢.

و قد سبق الحديث عن هذه الصيغة فيما تقدم من البحث، و نكتفي في هذا المقام بالتذكير بأهم معانيها وعرض علاقتها بما أقسم به وعليه في هذا الموضع.

قال بعض المفسرين: "لا" هنا زائدة و تقديره أقسم بمواقع النجوم... وقال آخرون: ليست زائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسما به على منفي. (١)وقال آخرون بأن أصلها " لأقسم " وبهذا تكون اللام لام القسم والتوكيد، و هذه القراءة قليلة، وهي في العربية بعيدة، لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا معه النون.(٢)،وقيل أيضا :بل دخلت (لا) توكيدا للكلام. وذكر عن أبي بكر بن عياش في قوله:(لا أقسم) توكيد للقسم، كقوله: لا والله. قال بعض نحويي الكوفة: (لا) رد لكلام قد مضى من كلام المشركين. (٣)، وتقدير هذا الكلام بحسب بعض المفسرين هو التنبيه على فضيلة القرآن ليتدبروه وأنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا.(٤)

كما أشار الدكتور سليمان بن علي ـ أستاذ اللغويات المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط ـ إلى بعض دلالات (لا) الأخرى قائلا:" أنها لنفي ما ينبؤ عنه القسم من تعظيم المقسم به و تفخيمه، فكأن المعنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بإقسامي به حق إعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك، وهناك رأي آخر يقول أنها لنفي الإقسام لوضوح الأمر. ولعل أقرب تفسير لـ "لا". هو ما ذكرته الدكتورة بنت الشاطئ رحمها الله من أنها لإفادة التوكيد مع عدم القول بزيادتها كما فعل بعض القدماء الذين أثبتوا هذا المعنى، وقد احتجت لهذا الرأي بما نستعمله في مخاطباتنا حتى الآن ـ ليس في الفصحى و حسب بل و في لهجاتنا العامية ـ عندما نريد أن نؤكد على أحد ما وصية معينة فنقول: لا أوصيك بكذا، فلا شك أن هذا أكد لأمر الوصية من القول: أوصيك بفلان، ومن هنا فإن معنى (لا أقسم) هو (أقسم) كما قال القدماء ولكن مع إفادة التأكيد. (٥)

ومعنى ذلك كله أن الله سبحانه و تعالى قد أقسم بمواقع النجوم حقا في هذه الآية، و مما يدل على ذلك أيضا أنه جاء بعدها مباشرة "و إنه لقسم لو تعلمون عظيم " فدل هذا على قسم لا نفي

١:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج٧، ص٥٤٣.

٢: الزجاج، معاني القرآن و اعرابه، تح: عبد الجليل شلبي،(د.ط)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٥، ص٣٤.

٣:محمد الأمين الحكبني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ص٣٦٩.

٤:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج١٧،ص٢٢٣.

٥:سليمان بن علي، من أسرار القسم في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ، ج١٩،ص٥٦١.

٢ـ قال تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾

المقسم	حرف نفي	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	المقسم عليه
الله عزوجل	لا	أقسم	الباء	ما تبصرون	إنه لقول رسول كريم

التفسير: " فلا أقسم بما تبصرون و ما لا تبصرون " المعنى: أقسم بالأشياء كلها، ما ترون منها وما لا ترون. و "لا" صلة ، وقيل: هو رد لكلام سبق، أي: ليس الأمر كما يقوله المشركون. وقال مقاتل: سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمدا ساحر. وقال أبو جهل: شاعر. وقال عقبة: كاهن، فقال الله عزوجل " فلا أقسم " أي: أقسم ،وقيل: " لا " ها هنا نفي للقسم، أي: لا يحتاج في هذا إلى قسم، لوضوح الحق في ذلك، وعلى هذا فجوابه كجواب القسم.

" إنه " يعني القرآن. " لقول رسول كريم " يريد جبريل، قاله الحسن و الكلبي ومقاتل. وقال الكلبي أيضا و القتبي: الرسول هنا محمد صلى الله عليه و سلم، لقوله:[وما هو بقول شاعر] وليس القرآن قول الرسول صلى الله عليه وسلم ،إنما هو من قول الله عزوجل، ونسب القول إلى الرسول لأنه مبلغه و العامل به. (١)

٣ ـ قال تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ا

المقسم	حرف نفي	فعل القسم	حرف القسم	المقسم به	المقسم عليه
الله عزوجل	لا	أقسم	الباء	رب المشارق والمغارب	إنا لقادرون على أن نبدل خيرا

التفسير: " فلا أقسم برب المشارق و المغارب " أي: الذي خلق السماوات والأرض، و جعل مشرقا ومغربا، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها و تغيب في مغاربها. و تقرير الكلام: ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد و لا حساب، و لا بعث و لا نشور، بل كل ذلك واقع و كائن لا محالة. و لهذا أتى بـ "لا" في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي، وهو مضمون الكلام، وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة، وهو خلق السموات والأرض، و تسخير ما فيهما من المخلوقات و من الحيوانات والجمادات، و سائرها. (٢)

١:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢١،ص٢٣٥.

٢:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج٨،ص٢٢٩.

" إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم " يقول: نقدر على إهلاكهم والذهاب بهم، و المجيء بخير منهم في الفضل و الطوع و المال. " و ما نحن بمسبوقين " أي: لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر نريده.(١)

٣/ دراسة المحذوفات في جملة القسم: أسفرت الدراسة الإحصائية للمحذوفات في جملة القسم في القرآن الكريم أن عدد المواضع التي طرأ عليها الحذف مبينة في الجدول الآتي:

حذف جملة القسم:	حذف مقسم به وأداة القسم:	حذف فعل القسم:	المحذوفات في جملة القسم:
٤٢٠	١٠	٤٥	عدد مواضع الحذف:

٣_١ـ حذف جملة القسم:

قال تعالى: لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾النمل.

التفسير: هنا جملة القسم محذوفة، ولكنها قدرت بـ [لأعذبنه عذابا شديدا] و [ليأتيني بسلطان مبين]، و هذه الآيات في مقام جواب قسم لقسم محذوف، فلفظة "لأعذبنه" جاءت مؤكدة بحرف "اللام"، فقد وليت المستقبل فلحقته النون في الفعل "أعذبنه" فجاءت على نية القسم، و العذاب دليل على الألم و الحزن و معانيه كثيرة أما دلالته السياقية، فقد اختلف في التعذيب اختلافا كبيرا فقيل: هو أن ينتف ريشه وذنبه، ويلقيه في الشمس وقيل: هو أن يودعه السجن، وقيل: أن يحبسه مع ضده، وقيل: أن يبعده عن خدمته وقيل: أن يلزمه خدمة أقرانه. (٢)_وبالتالي لفظة العذاب تحمل عدّة معاني في هذا السياق_. وأيضا قوله: [ليأتيني بسلطان مبين] فـ "أو" هنا تحمل دلالة الاختيار بين شيئين، أو أمرين، و السلطان هو العذر والبرهان والحجة، وقد جاء في تفسير الكشاف للزمخشري أنه قد حلف على أحد ثلاثة أشياء، فحلفه على فعليه لا مقال فيه، أي لا حديث فيه، ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد؟ ومن أين درى أنه يأتي بسلطان، حتى يقول والله ليأتيني بسلطان؟ قلت: لما نظم الثلاثة بـ "أو" في الحكم الذي هو الحلف: آل كلامه إلى قولك ليكونن أحد الأمور، أي إن كان المجيء بالحجة لم يكن تعذيب و لا ذبح، وإن لم يكن كان أحدهما و بالتالي ليس في هذا ادعاء وإيقان و معرفة. (١)

١:القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،ج٢١،ص٢٣٥.

٢:محمد علي طه الدرة ،تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه، دار ابن كثير،دمشق،بيروت،ط٢٠٠٩،١م،م٦،ص٦٩٠.

وبهذا تكون جملة القسم محذوفة وقد دل عليها تقديرها. و الغرض من هذه الآية هو التنبيه.

٢ـ قال تعالى: لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾الحشر.

التفسير: هذه الآية الكريمة حذفت منها جملة القسم، وترك ما يدل عليها وهو تقديرها في جوابه "لا يخرجون". وقد جاء بصيغة النفي، أما قوله تعالى:" لئن أخرجوا...ولئن قوتلوا " هي بمعنى الشك أما دلالتها السياقية وهي أن المنافقين لما حلفوا أقسم الله سبحانه و تعالى في بيان كذبهم، وهذا القول حمل على الفرض و التقدير لما مرّ من إخبارهم الله سبحانه و تعالى بأنهم لا ينصروهم اي أنه لو لم يحمل على الفرض للزم الكذب، و ضمير الفعلين "ليُولُّن" ينصرون" يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون للمنافقين، فيحتمل أن يكون لليهود قوله: لا ينفعهم نصرة المنافقين نفاقهم راجع إلى كون الضمير للمنافقين بل يدمرهم الله سبحانه و تعالى لبيان كفرهم حينئذ لكنه لم يقع. (٢)

والغرض من جملة جواب القسم "لا يخرجون" الذي وقع عليها الحلف هو صحة النبوة.

٣ـ قال تعالى: كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾الهمزة.

التفسير: كما أن هذه الآية الكريمة أيضا حذفت منها جملة القسم وبقي ما يدل عليها و هو جوابه <كلا لينبذن في الحطمة> فـ "كلا" تدل على النفي أما دلالتها السياقية فهي تدل على الزجر و الردع، أما لفظة "لينبذن" أي ليطرحن و هي جواب قسم مقدر والجملة استئنافية مبنية لعلة الردع والزجر أي والله ليطرحن بسبب أفعاله المذكورة.(٣)أما لفظة "الحطمة" وهي اسم من أسماء جهنم، سميت بذلك لأنها تحطم كل ما يلقى فيها أي تكسره فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم، ويقال للرجل الأكول "إنه لحُطمةٌ".(٤)

وبالتالي فجملة القسم محذوفة، إلا أن جواب القسم "لينبذن" يدل عليها والغرض من هذه الآية هو تحذير الكفار.

١:الزمخشري، الكشاف، تح: أحمد عبد الموجود ،مكتبة العبيكة،الرياض،ط١٩٩٨،١م،ج٤،ص٤٤٦.

٢:عبد الله محمود محمد عمر، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط٢٠٠١،١م،ج١٩،ص٢٥.

٣:الألوسي البغدادي، روح المعاني، ج٣٠،ص٢٣١.

٤:القرشي البغدادي ،زاد المسير في علم التفسير، مكتب إسلامي،بيروت،لبنان،ط١٩٨٤،٣م،ج٩، ص٢٢٩.

٤ـ قال تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾المائدة

التفسير: هنا جملة القسم محذوفة، وقدرت بـ "لتجدن" وهي جواب لقسم محذوف، وجاءت مؤكدة بحرف "اللام" أما دلالتها السياقية، وهي لشدة شكيمتهم، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في إتباع الهوى، وركونهم إلى التقليد، و بعدهم عن التحقيق، وتمرنهم على تكذيب الأنبياء، و معاداتهم.(١)

٥ـ قال تعالى: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّـهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّـهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾آل عمران.

التفسير: في هذه الآية الكريمة حذفت منها جملة القسم، وترك ما يدل عليها وهو تقديرها في جوابه "لقد نصركم الله"، و بعضهم يعتبر (الواو) عاطفة. وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، و اللام واقعة في جواب القسم المحذوف. وبعضهم يقول اللام موطئة القسم، والموطئة معناها المؤذنة . أما دلالتها السياقية، يذكر الله الصحابة الكرام ـ الذين أصيبوا في غزوة أحد ـ بنعمته عليهم في غزوة بدر الكبرى، و كان ذلك حين توكلوا على الله. وبدر: ماء هنالك، وبه سمي الموضع، وقال الشعبي ـ رحمه الله تعالى ـ كان ذلك الماء لرجل من جهينة يسمى بدرا، وبه سمي الموضع، ويوم بدر كان يوم الجمعة من السابع عشر من رمضان وهو يوم الفرقان، الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله. و " أذلة " جمع ذليل، وهذا راجع لقلة عددهم وقلة السلاح والمركوب والمال. (٢) وبالتالي تكون جملة القسم محذوفة وقد دل عليها تقديرها.

٢ـ حذف حرف القسم:

قال تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّـهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾المائدة.

فقد قرئ (شهادةٌ) بالتنوين، و(الله) بقطع الهمزة من غير مد مع جر لفظ الجلالة، وقيل في توجيه هذه القراءة إن اسم الله تعالى مجرور بما عوض به عن حرف القسم المحذوف،و هو هنا قطع ألف الوصل.و قرئ بذلك أيضا إلا أنه بقطع الهمزة و مدها، و على هذه القراءة تكون همزة الاستفهام هي ما عوض به عن حرف القسم.(٣)

١:محمد علي طه الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، م٣، ص١٩١.

٢:المرجع نفسه، ص٢٣٠ـ ٢٣١.

٣:أبي الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، تح: عبد الحليم النجار، دار سركين، ١٩٧٦م، ج١، ص٢٢١.

قال تعالى: قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ص.

فقد قرئ بنصب (الحق) الأول و الثاني، ومما وجهت به هذه القراءة أن الأول منصوب على حذف حرف القسم كما في قولهم: الله لأفعلن، والثاني منصوب بـ (أقول) والتقدير: أقول الحق.(١)

وقرئ بالخفض فيهما معا: (فالحق والحق)، ووجه ذلك في الأول على حذف حرف القسم وإبقاء عمله كما كان في اسم الله تعالى من قولهم: الله لأفعلن، على أن يكون معنى (الحق) هنا اسم الله تعالى، وقد تقدم أن سيبويه لا يجيز ذلك إلا في لفظ الجلالة.(٢)

٣_٣: حذف فعل القسم:

١ـ قال تعالى: وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾العصر.

التفسير: في هذه الآية الكريمة حذف فعل القسم وتقديره: أقسم ؛و الجملة الاسمية " إن الإنسان لفي خسر " جواب قسم لفعل محذوف و اللام: هي المزحلقة في (في خسر).(٣)أما دلالتها السياقية؛ فقد اختلف العلماء في تفسير "العصر"، لتعدد المعاني اللغوية للكلمة، ومنهم من قال بأن المقصود به هنا هو صلاة العصر. قال الزمخشري في تفسيره "الكشاف": (أقسم بصلاة العصر لفضلها... بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : " من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله "، ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم).(٤)

أما ابن كثير فقال: (العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر).(٥)وقيل، وهو الغالب، أن العصر بمعنى الدهر، أي: أنه زمان يشمل ليلا ونهارا،وقد يشمل أسابيع، وقد يشمل شهورا، إلا أن هذا الزمن يحكمه طابع خاص في مقوماته... في شخصياته...

١:ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن،ج٢، ص٣٢٠

٢:أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، ط١، ج٢، ص٤٢٣.

٣:محمد علي طه الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه،م١٠، ص٧١٧.

٤:الزمخشري، الكشاف، م٤، ص٢٨٢.

٥:ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٣٦٦.

في أحواله ... عصر الجاهلي ...العصر الأموي. (١)

إذن فالعصر متدرج في مفهوم معانيه، المعنى الأول: العبادة، المعنى الثاني: وقت هذه العبادة، المعنى الثالث: يطلق العصر على طائفة من الزمان تعم ليلا و نهارا.فقد أقسم سبحانه وتعالى بالعصر على أن" الإنسان لفي خسر"، أي في خسارة و هلاك، وقيل بمعنى عقوبة و شر ونقصان.(٢)

٢ـ قال تعالى: فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾الحجر.

التفسير: هذه الآية الكريمة حذف منها فعل القسم، و تقديرها "فوربك لنسألنهم أجمعين" وهي جواب لقسم محذوف. واللام في " لنسألنهم " واقعة في جواب القسم. أما من حيث السياق: أقسم الله بنفسه: أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين مر ذكرهم. وقيل: يسألون عن قول لا إله إلا الله، دليله ما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "فوربك" قال: عن قول لا إله إلا الله. قال أبو عبد الله: معناه: عندنا: عن صدق لا إله إلا الله، ووفائها، و التصديق بها، والعمل بمقتضاها، كما قال الحسن البصرين ليس الإيمان بالتحلي، ولا الدين بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب و صدقته الأعمال، حيث قال القرطبي: والآية بعمومها تدل على سؤال الجميع، و محاسنهم، كافرهم، ومؤمنهم ,(٣)

٣ـ قال تعالى: قَالُوا تَاللَّـهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّـهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾يوسف.

التفسير: في هذه الآية حذف فعل القسم، " تالله" قسم فيه معنى التعجب و"التاء" هنا بدل من الباء، وهي مختصة باسم الله تعالى، متعلقة بفعل محذوف، تقديره: نقسم. واللام في "لقد" واقعة جواب القسم. أما من حيث دلالتها السياقية ؛ أي: فضلك الله علينا، واختارك بالعلم والحلم، والحكم والعقل والملك، وحسن الصورة، وكمال السيرة، والإيثار التفضيل؛ أي يفضلون غيرهم على أنفسهم.(٤)

١:محمد متولي الشعراوي، تفسير جزء عم، دار الراية للنشر والتوزيع،(د.ط)، ٢٠٠٨م، ص٥٢١ .

٢:ابن القيم جوزية، التبيان في أيمان القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ص١٣٤.

٣:محمد علي طه الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

٤:المرجع نفسه، ص ٦٣١ ـ ٦٣٢.

و أخيرا نكون بهذا قد أنهينا بفضل الله ورحمته الفصل التطبيقي، والذي عرضنا فيه نماذج مختلفة لمختلف أساليب القسم وعناصره، وبهذا نكون قد أتممنا هذا الباب ، وأنهينا آخرفصل في هذه البمذكرة ؛ونذهب بعدها الى الخاتمة التي سنستعرض فيها أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث

:

خاتمة

خاتمة

وفي ختام هذا البحث نحمد الله عزّ وجلّ ، الّذي بنعمته تتمّ الصّالحات ، والشّكر لله الّذي وفّقنا في إنجاز هذه الدّراسة وتقديمها ، وهذه هي القطرات الأخيرة في مشوار هذا البحث الّتي أحسب أنني لم أكن السباقة فيها ،وسنقدّمها على شكل نتائج وهي كالتالي:

_القسم من الاساليب الانشائية ضرب من التوكيد، ولا تحصل الإفادة في القسم منفردا إلا إذا انضم الى المقسم عليه ،فهما وجهان لعملة واحدة.

_ حروف القسم الأكثر استعمالا هي: الواو والتاء والباء واللَّام؛ الباء هي الأصل وتختص بالقسم الظاهر والمضمر ، التاء تختص بلفظ الجلالة 'الله' فقط.

_يختص حرف الواو بحذف فعل القسم ؛لأن وجودهما معا يُبطل الغرض.

_ التعظيم ،التقديس، التنبيه، التحذير، الإعجاز والتحقيق ،هي أغلب الأغراض التي يرمي لها القسم .

_للقسم ثلاث ألفاظ تحيلنا للغرض نفسه: حلف، يمن وقسم

_القصد من القسم بالله تعالى هو التقديس؛ لأنَّه يستوجب التقديس والعبادة.

_لجأ القرآن الكريم الى القسم جريا على عادة العرب في توكيد الأخبار، لتستقر في النفس، ويتزعزع فيها ما يخالفها ، كما أنَّه قد يرد القسم فيوهن للمرء خلافا على ذلك ويضعه في موضع شك .

_ أقسم الله على وجوده و وحدانيته ،وتصديق نبيه وذلك بمخلوقاته التي نبصرها والتي لا نبصرها فتدفعنا للتفكير في خالقها

_باستقراء آيات القرآن وجدت أن القسم بالحروف أغلبها بحرف القسم الواو وتكون في المجمل من الله تعالى.

_انفرد القرآن الكريم بصيغة **"لا أقسم"** فلم يرد عند العرب في نصوصها النثرية والشعرية هذه الصيغة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

***القرآن الكريم.**

*إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط، ط٢، مكتبة إسلامية ، ج١.

* ابن القيم جوزية، التبيان في ايمان القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

* ابن جني (أبو الفتح عثمان)، اللمع في العربية، تح: سليم أبو مغلي، دار مجدلاوي، عمان، ١٩٨٨م.

* ابن خلدون،(عبد الرحمن بن محمد)، المقدمة، دار الجوزي، مصر، ٢٠١٠م.

* ابن سيده (ابو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي)، المخصص، تح: خليل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٢.

* ابن عصفور الأشبيلي ، شرح جمل الزجاجي ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ، لبنان، ١٩٨٨م، ج١.

*ابن عصفور، شرح جمل الزجاج ، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م، مج١.

* ابن فارس ، مقايس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣،ج٥،

*ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

* ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، السعودية، الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ج٤.

* ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب، مادة(سلب)، دار صادر، بيروت، مج١، مج ١، ١٩٥٥م.

* ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١.

* ابن هشام، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، دمشق، ج١.

* ابن يعيش(موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش)، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، دمشق، ج٩.

* أبو الحسن المجاشعي، بالولاء البصري الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

* أبو زكرياء يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، ط١، ج٢.

* أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج١.

* أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تح: علي محمد البحاوي، (د.ط)، (د.س)، ج١.

ـ أبي الحسن بن عيسى الروماني، معاني الحروف، تح: عبد الفتاح اسماعيل شلبين دمشق، ط١،(د.س).

* أبي الحسن علي بن محمد الهروي، اللامات، تح: يحي علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت ، ط١، (د.س)، ١٩٨٠م.

* أبي الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، تح: عبد الحليم النجار، دار سركين، ١٩٧٦م،ج١.

* أبي الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م، ج١.

* أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، كتاب اللامات، تح: مازن المبارك، دار الفكر، ط١، ١٩٨٥م.

* أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط١ن (د.س)، ج١.

* أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية.

* أحمد بن عبيد الله القرشي، الاشبيلي السبتي، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تح: عياد: بن عيد الثبيتي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م،ج٢.

* الألوسي البغدادي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، بيروت، لبنان، (د.س)، ج٢٩.

* الإمام الرازي، الصحاح، ط٢، دار الحداثة، ١٩٨٣م.

* الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.

* الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نظم فاضل ، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

* الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

* الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، تح: عبد الجليل شلبي، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج٥.

* الزركشي، البرهان في علوم القرآن

* الزمخشري(جار الله أبي القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، مادة(سلب)، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.

* الزمخشري(موفق الدين أبي البقاء و يعيش بن علي بن يعيش الموصلي)، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

* الزمخشري، الكشاف، تح: أحمد عبد الموجود ، مكتبة العبيكة، الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ج٤.

* السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢.

* الشعراوي(محمد متولي)، خواطر حول القرآن الكريم، مطابع أخبار اليوم التجارية، ط٢، ١٩٩١م، ج٤.

* الفاكهي(عبد الله بن أحمد)، شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد دميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

* الفيروز أبادي(محمد الدين بن يعقوب)، القاموس المحيط نتح: محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.

* القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، مكتب إسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٤م، ج٩.

* القرطبي(أبو عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله محمد بن عاصم النمري)، الكافي فب فقه اللغة، تح: محمد أحيد، مكتبة الرياض،ط٢، المملكة السعودية،١٩٨٠م.

* القرطبي(أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي)، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطبع و النشر، ط١، ٢٠٠٦م،ج١١.

* المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق، القاهرة، ١٩٩٤م.

* النجيرمي(أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد)، أيمان العرب في الجاهلية، مطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٣ه.

* أنعام عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع و البيان و المعاني، ط٢ن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

* بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر، ٢٠٠٦م.

* بهاء الدين بن عقيل، المساعد في تسهيل الفوائد، تح: محمد كامل بركات ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٢م، ج٢.

* جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م،ج٩.

* حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ١٢٩٢ه، ج٢.

* حسين نصار، القسم في القرآن الكريم،ط١، مكتبة الثقافة الدينية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

* سامي عطا حسن، أسلوب القسم في القرآن الكريم ـ بلاغته و أغراضه.

*سيبويه(أبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٨م،ج٣.

* شكري عياد، اللغة و الإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

* شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري،(د.س)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ٢٠٠٣م، ج١٧.

* شوقي ضيف، البلاغة تطور و تاريخ، دار المعارف، مصر، ط٢.

*صبحي عمر شو، أسلوب الشرط و القسم في القرآن الكريم، دار الفكر، ط١ن عمان، الأردن،٢٠٠٩م.

* طبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: عصام فارس حرثاني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٤م، ج٧.

* عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط٣، مصر، (د.س)، ج٤.

*عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الفكر، (د.ط)، (د.س)، ج١.

* عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط٢٠٠١،٥.

* عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد عبده و الشنيقطين مطبعة محمد علي صبيح، ط٦، ١٩٦٠م.

* عبد الله محمود محمد عمر، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٤م، ج٩.

* كاظم فتحي الراوي، أساليب القسم في اللغة العربية، مطبعة جامعة المستنصرية، ط١، بغداد، ١٩٩٧م.

* محمد الأمين الحكبني الشنيقطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

* محمد الرازي فخر الدين، تفسير الكبير و مفاتيح الغيب، دار الفكر، دمشق، ج٢٨.

* محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير،ج٦.

* محمد عبد القادر أبو فارس، كتاب الأيمان و النذور، دار الأرقم، ط١، عمان، الأردن، ١٩٧٩م.

* محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر، دار الطلائع، القاهرة، مصر، (د.س).

* محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه و بيانه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، م٦.

* محمد مختار السلامي ، القسم في اللغة و في القرآن ،دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩م.

البحوث و المجلات:

* سمية محمد عناية حاج نايف ، صيغة نفي القسم في القرآن الكريم.

* علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية ـ بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في البلاغة و النقد، ١٩٩١م، مج:١.

* موسى إبراهيم الإبراهيمي ، تأملات قرآنية ـ بحث منهجي في علوم القرآن ـ دار الشهاب.

محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ _ د
فصل النظري: أسلوب القسم حروفه أركانه أغراضه ودواعيه	٥
المبحث الاول: الأسلوب في الدرس اللساني العربي	٦
المبحث الثاني: ماهية القسم وأصله الاشتقاقي	
١ _ تعريف القسم لغة	١٢
٢ _ مصطلحات دالة على القسم	١٣
٣ _ القسم اصطلاحا	١٥
المبحث الثاني: أدوات القسم أنواعه وأركانه:	
١ _ حروف القسم	١٧
٢ _ حرف الباء ،حرف التاء	١٨
٣ _ حرف اللام /من	١٩
٤ _ آراء العلماء حول هذه الحروف	٢٠
٥ _ أنواع القسم :القسم الظاهر	٢١
٦ _ القسم المضمر	٢٢
أركان القسم:	٢٣
١ _ المقسم	
٢ _ المقسم به	٢٤
٣ _ المقسم عليه أو جواب القسم	٢٥
٥ _ التناسب بين المقسم به والمقسم عليه	٢٧

المبحث الثالث: جملة القسم ومواطن الحذف والنفي فيها	
١_جملة القسم : الأسمية والفعلية	٢٨
٢_صيغة نفي القسم	٣٠
٣_ أرآء العلماء في صيغة (لا اقسم)	٣٠
٤_المحذوفات في جملة القسم	٣٢
٤_١:حذف فعل القسم	٣٢
٤_٢حذف المقسم به والأداة	٣٣
٤_٣حذف جملة القسم	٣٥
فصل التطبيقي: الدراسة الاحصائية والدلالية لأسلوب القسم في القرآن الكريم نماذج مختارة	
المبحث الاول: لمذا اقسم الله تعالى؟	٤١
المبحث الثاني: أنواع وانماط القسم في القرآن الكريم	٤٥
المبحث الثالث: دراسة الإحصائية	
١_إحصاء لفظ القسم في القرآن الكريم	٤٦
٢_حروف القسم	٤٧
٣_القسم الصريح	
٣_١ قسم صريح مقرون بالباء	٤٩
٣_٢قسم صريح مقرون بلفظ الجلالة	
١_ باسم الرب	٥٠

٢_ باسم الجلالة	٥١
٣_باسم العزَّة	٥٢
المبحث الثالث: الدراسة الدلالية	
١_ القسم بأسماء الله وصفاته _آيات مختارة_	٥٤
٢_ القسم بأسماء القرآن الكريم _آيات مختارة_	٦٨
٣_القسم بالمخلوقات_ نماذج مختارة_	٧٦
المبحث الرابع: احصاء آيات نفي القسم	٨٠
المبحث الخامس: دلالة صيغ نفي القسم _ نماذج مختارة_	٨١
المبحث السادس: دراسة إحصائية للمحذوفات في جملة القسم .	٨٥
المبحث السابع: دراسة دلالية لحذف القسم _نماذج مختارة_	
١_حذف جملة القسم _ نماذج مختارة_	٨٦
٢_حذف حرف القسم _نماذج مختارة_	٨٧
٣_حذف فعل القسم _نماذج مختارة_	٨٩
خاتمة	٩١
قائمة المصادر والمراجع	٩٤
الفهرس	١٠١

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث واحدا من أهم أساليب التوكيد المعروفة عند العرب ؛ألا وهو " أسلوب القسم كمحاولة لاستقصاء نماذج من نصوص بليغة تضمنته و تحريا لدلالاته ، فكان القرآن هو نموذجنا في هذه الدراسة ؛بوصفه حجة البيان والبلاغة والإعجاز الأولى بلا منازع ،فقد جاء القرآن بأقسام استعملها عرب الجاهلية في نثرهم وشعرهم، وانفرد بصيغة نفي "لا أقسم "إذ لم يسبق للعرب استعمالها.

لقد عمد الباحث أن تكون نماذج الدراسة متنوعة بحسب تنوع صيغ القسم والسياقات التي وردت فيها سعيا للإحاطة بأسوب القسم من ناحية الماهية والأركان والنوع فضلا عن دلالاته وخصوصية مقاصده في القرآن الكريم .

الكلمات المفتاحية: أسلوب- القسم- الصيغة- الدلالة- نفي القسم- التوكيد.

Abstract

This paper deals with one of the most important emphasis style known to Arabs .that is the style of swear As an attempt to investigate examples of eloquent texts it contained and to investigate its significations So, the Qur’an was our model in this study, describing it as the first argument for rhetoric and eloquence.

The Qur’an includes some style of swear that were used by the pre-Islamic Arabs in their prose and poetry, and it was unique in the form of negation, “I do not swear,” as the Arabs had not previously used it The researcher has intended that the study models be varied according to the diversity of the swear formulas and the contexts in which they are mentioned in an effort to understand the its terms and significations, as well as its connotations and the specificity of its aims in the Holy Qur’an.

Keywords : swear ,emphasis style, signification, rhetoric, swear formulas, terms, holy Quran